المركز العربي
للدراسات الإنسانية

[١١]
سلسلة رؤى معاصرة

التقريب بين السنة والشيعة
رؤية سياسية

إعداد
عشري علام

رئيس التحرير
م. حسن الرشيدي
hassan@arab-center.org

تدقيق لغوي
عبد العزيز مصطفى الشامي

إخراج فني
أحمد أبو الفتوح حسين

المركز العربي للدراسات الإنسانية
القاهرة ١٢ شارع رفاعة متفرع من
الخليفة المأمون - مصر الجديدة
www.arab-center.org

mail: info@arab-center.org

هاتف: ٢٤٥٣٥٤٢٢ ٢٠٢+
فاكس: ٢٤٥٢٢٨٠١ ٢٠٢+
نقال : ٠١٠٥١٢٥٩٥٦ ٢+

رؤى معاصرة:

دورية استراتيجية تهتم بتقديم رؤى استشرافية وفكرية لصناع القرار والمفكرين والمثقفين في العالم الإسلامي. يتركز اهتمام «رؤى معاصرة» على التحديات الفكرية والاستراتيجية والسياسية التي تواجه الأمة الإسلامية سواء على المستوى الداخلي، أو في علاقات الأمة مع الدول والشعوب غير المسلمة، أو على مستوى الرؤى الفكرية والحضارية الخاصة بمستقبل العالم الإسلامي.

مجالات الاهتمام:

تهتم «رؤى معاصرة» بخدمة صانع القرار في العالم العربي والإسلامي من خلال الجوانب التالية:

- تقديم دراسات تحليلية لقضايا واقعية ملحة تشغل اهتمام صانع القرار في العالم العربي والإسلامي.
- عرض حلول عملية لمشكلات معاصرة في مجالات الفكر والاستراتيجية والسياسة.
- تعريف بقضايا أو مشكلات جديدة على ساحة العمل الإسلامي.
- طرح رؤى جديدة متميزة وعملية حول بعض المشكلات والقضايا.

الموزعون:

مصر: المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة : ١٢ شارع رفاعة، الخليفة المأمون ـ مصر الجديدة ـ هاتف: ٢٤٥٣٥٤٢٢ فاكس: ٢٤٥٢٢٨٠١ الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩، هاتف: ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦. سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص. ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠. البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص. ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١. السعودية: الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠. السودان: الخرطوم، دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع، هاتف: ٧٩٣٢٨٣ ـ فاكس: ٧٩٣٢٨٤ ـ ص. ب ١١١٦٦ الخرطوم. الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣. قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ ـ ٤٥٥٧٨١١ ـ ٤٥٥٧٨١٢ ـ فاكس: ٤٥٥٧٨١٩. الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت رمز بريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩. المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩. اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء: ص. ب: ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ - فاكس: ٤٠٥١٣٥.

رقم الإيداع: / ٢٠١٠م

ملخص الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

كُتب الكثير عن مسألة التقريب بين السنة والشيعة، وليس غرضنا هنا أن نكرِّر ما قاله السابقون في بيان حقيقة الموقف الشرعي للتقريب، بقدر ما نريد أن نربط الموقف الشرعي بالواقع السياسي من جهة، ونحلل مضمون الخطاب لكلا الفريقين القائلين بالتقريب، والرافضين له من جهة أخرى.

كما أنه لا يمكننا أن نعزل قضية التقريب عن المشاريع السياسية المتعلقة بالمنطقة العربية والإسلامية، والتي تعتمد بالأساس على تقسيمها وتفتيتها بجملة من المشاريع السياسية التي ليست في صالح المنطقة مثل الشرق الأوسط الكبير والموسع، والمتوسطية، إلى آخر ما هنالك.

فدعوة التقريب لا يمكن عزلها باعتبارها أداة من الأدوات التي تصبّ في هذا الاتجاه، فكما تم تقسيم الإسلام بصورة ساعدت على تقسيم المسلمين إلى معتدلين مسالمين، ومتطرفين إرهابيين، يتم تقسيم المسلمين إلى قابلين للحوار والتقريب والوحدة، ورافضين، وهكذا في ثنائيات متوالية.

ولهذا سنركز على أثر اعتقاد الشيعة المخالف لأهل السنة في أهدافهم السياسية للمنطقة الإسلامية والعربية. وكيف أن العقيدة من أهم المحددات الرئيسة للسلوك السياسي والأخلاقي.

ولا بد أن نوضح خطورة هذه الدعوة على الأمن القومي العربي والإسلامي، وانعكاسات هذه الدعوة على النظام الإقليمي، مع الإشارة إلى أن التعاون الشيعي السياسي مع المشروع الصهيوصليبي ليس بمعزل عن العقيدة الشيعية، وهذا ما يظهر بوضوح في العراق وأفغانستان، ومناطق أخرى كثيرة.

كما سنبين خطورة الانتشار الشيعي في الخليج، ومصر، والعالم الإسلامي بصفة عامة، ونوضح أهداف هذا الانتشار، وسنقدم الأدلة على ما سنذهب إليه.

ولهذا كله فإن التحليل الجزئي للتقريب لا يعطينا القراءة الصحيحة التي تساهم في اتخاذ القرار الصحيح، فهناك فرق كبير بين التحليل «الماكرو» الكلي، وبين التحليل «الميكرو» الجزئي. فالأول يعطينا النظرة الشاملة لكافة أبعاد المعالجة السياسية لأية ظاهرة سياسية، أما الآخر فيعطينا قدرًا من الحقيقة، لكنها تبقى مبتسرة ناقصة،

فمقتضى التحليل الكلي أن ندرس الموضوع برمته، ولا نغفل منه شـيئًا قدر المستطاع، لكـن التحليل الجزئي كما يقول الدكتور مصطفـى منجود: «أن تأخذ عنصرًا أو متغيرًا واحدًا من الظاهرة موضوع الدراسة وتسلط عليه التحليل».[1]

فيجب ألا ننظر لقضية التقريب بعيدًا عما وراءها من أهداف سياسـية متمثلة في الحلم الإمبراطوري الذي يراود مخيلة الشـيعة الإيرانيين الصفويين، وقد بيَّن الأستاذ علي حسـين باكير خطورة التحليل الجزئي، فقال: «خطورة هذا المنهج من التحليل أنه يحمِّل الجزء ما لا يحتمل من مضاميـن وأفكار، من خلال أدوات عاطفية وأيديولوجية وحزبية وغيرها، وكلها تفتقر إلى مرجع ثابت للقياس».[2]

فالعاطفة نحو الوحدة الإسـلامية لا تنسـينا الأساس الراسخ الذي تنبني عليه هذه الوحدة، والتي تمثل عقيدة أهل السـنة والجماعة لبنته الأساسـية، وألا ننخدع بشعار التقريب؛ فهو مجرد وسيلة من جملة الوسائل الشيعية التي منها:

- ما هو اقتصادي يتمثل في حجم التبادل الاقتصادي بين الشيعة الصفويين بقيادة إيران، فقد بلغ حجم التبادل التجـاري الإيراني مع بعض الدول الإفريقية فقط حوالي ٣٠٠ مليون دولار سنويًا.

- ورشاوى سياسية في شـكل تعاملات اقتصادية مع روسيا والصين، وبعض الدول الأوروبية، ويدفعها لذلك ما تحلم به إيران من مكاسب اقتصادية في حالة سيطرتها على المنطقة، يساعدها في ذلك نموذج العراق، وما تجنيه من ورائه من مكاسب اقتصادية.

- ومنها ما هو دبلوماسـي يتم من خلاله فتح مراكز ثقافية تقوم على نشـر التشيع؛ فقد طُبع أكثر من نصف مليون كتاب في السنتين الماضيتين وُزِّعَت في المنطقة العربية وإفريقيا من خلال ما أنشأته الدبلوماسية الإيرانية بما يسمى بـ«جمعيات أهل البيت».

ثم قال الأسـتاذ علي حسين باكير: «وعلى الجانب الآخر فصاحب التحليل الشمولي الـذي يعتمد العقيدة كمعيار ضابط للتحليـل ليس أمامه حرية التلاعب؛ لاعتماده على ثوابت يمكن الرجوع إليها لبيان صواب التحليل من خطائه، فالعاطفة والحزبية ليس لهما دور في هذا التحليل».[3]

(١) محاضرات في النظرية السياسـية، مقرر دراسي، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، الفرقة الرابعة، ص٧٣، ٢٠٠٤م.

(٢) حزب الله تحت المجهر، كتاب الراصد ٢، ص ٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٠.

وكان الدكتور حامد ربيع –رحمه الله– كثيرًا ما يشير إلى أهمية العلاقة بين الحركة (السلوك) والفكر السياسي.[1] وهي هنا العقيدة الشيعية والسلوك السياسي الشيعي اللذان يعملان ضد الأمة دائمًا.

وفيما يتعلق بالتحليل السياسي ينبه الدكتور رشاد القصبي إلى أهمية «ألا يستند التحليل إلى معلومات موضوعية فحسب، وإنما إلى معرفة بالدوافع والأغراض والمعاني التي يعطيها المشاركون لتصرفاتهم، فلا يكفي فقط معرفة ما يقال أو ما يتم فعله، وإنما يجب التعرف أيضًا على الأهداف والمعاني من وراء تلك التصرفات لتقييمها بشكل كامل؛ كما يجب ملاحظة تصرفات وسلوك الآخرين جنبًا إلى جنب مع معرفة الدوافع المتسترة وراء هذه التصرفات؛ حتى يمكن توقع الأفعال والسلوك المستقبلي مسبقًا».[2]

ولعل هذا التحليل الشمولي يفسِّر لنا الدوافع المتسترة خلف التعاون بين الشيعة والولايات المتحدة، والتي وافقت على قدوم الخميني للسلطة، بل وصل الأمر إلى أبعد من ذلك؛ حيث قدمت أمريكا وبريطانيا كشوفًا للخميني بعملاء الـKGB؛ حتى لا يصل الشيوعيون إلى الحكم.

وهذا التحليل يساعدنا على فهم التحالف بين إيران وإسرائيل في العديد من القضايا؛ فيما يتعلق بتفتيت المنطقة وتجزئتها؛ فالقوى الصهيوصليبية تتفق مع الشيعة في الأجندة السياسية، مع اعترافنا بوجود التباين من حيث الأهداف. لكن المشترك هو استخدام الأقليات العرقية، وتحويل المفهوم الطائفي من قناعة دينية إلى ممارسة سياسية؛ ثم السعي للاستقلال الذي يؤدي إلى التجزئة؛ فالطرف الأول يستخدم «الأمزيغية، والنوبة، والأقليات الدينية– النصارى واليهود–، والأرمن... وغير ذلك» ذريعة مع غيرها من الذرائع، فكلها تخضع لما يسمى حقوق الأقليات.

والشيعة يستخدمون نفس الشيء في المنطقة الإسلامية والخليج، ولبنان والعراق، ومصر، وشمال إفريقيا وغربها.. وغيرها من المناطق التي توجد بها تجمعات شيعية تدعمها إيران لتحقيق أهداف سياسية، إما كأوراق تفاوض كما في حالة العراق ولبنان؛

(١) التحليل السياسي، محاضرات الفرقة الرابعة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية. ٢٠٠٦م، ص ٢٧.
(٢) مناهج البحث في علم السياسة، ج١، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٥٠.

لتلاشـــي ما يُتوقع مـــن ضربات ضد إيـــران، أو كأوراق ضغط وإربـــاك داخل منطقة الخليج.

أما مصر فإيران تحلم بإدخال أمن الخليج مع القرن الإفريقي عن طريق البحر الأحمر الذي يمثل العمق الاســـتراتيجي لمصر، فإيران تسعى لإيجاد تكتل إفريقي آسيوي، فهي موجودة بقوة في إفريقيا.

أما لماذا يتم هذا التنسيق بين الشيعة والقوى الصهيوصليبية؟

فهنـــاك إجابات كثيرة على هذا الســـؤال، منها ما قاله روبـــرت ديفوس: «إن مراكز الأبحـــاث الأمريكية والغربية توصي بالتعامل مع الشـــيعة؛ لأنـــه يمكن الوثوق بهم على خلاف المســـلمين السُّـــنّة، بل يدعو باحثون مثل ريتشـــارد بيرل، ودانيل بلتيكام لقيام جمهورية شيعية في المنطقة».[1]

وكمـــا أن القوى الصهيوصليبية تســـتخدم شـــعار «حوار الأديـــان» لاختراق العالم الإسلامي، فإن الشيعة يتخذون «التقريب بين السنة والشيعة» ستارًا لهم لتحقيق مآربهم وأطماعهم.

فإيران تســـتخدم التشـــيع الصفوي كأداة لتحقيق حلم إقامـــة إمبراطورية صفوية، وأقرب شاهد حي هو احتقارها حتى للشيعة العرب ولقادتهم، وهذا ما قاله الصفويون، وأدركه بعض الشيعة العرب الذين أفاقوا من سكرة التشيع الصفوي.

فالخلاصـــة أنها دعوة صفوية عنصرية ترتدي عباءة الدين؛ فهذه العنصرية للجنس للفارســـي هنا، والعنصرية لـــدى الجنس الأبيض، والعنصرية لدى شـــعب الله المختار جمعتهم جميعًا ضد أهل السنة. هذه حقيقة الموقف.

أما لماذا الاستهداف لأهل السنة من قبلهم جميعًا؟

فالإجابة ببســـاطة لأنهم يملكون مشروعًا متكاملاً على كافة المستويات، ليس فقط عقائديًا، بل في كافة الأنســـاق الفكرية، والثقافية، والحضارية، فهم جهة التحدي على المستويين: النظري والذي يظهر من خلال وجود المشروع الحضاري. والعملي: وهو الذي

(١) مجلة الوطن العربي، ٢٠٠٦/٣/١٠م.

يتمثل في مقاومة السّنة لكل دعوة دخيلة على الأمة. وهذا ما قاله الشيعة والغرب.

فكان من لازم ذلك طرح محاولات تهدف لإحداث تغيير في البنية العقلية والمنهجية لأهل السـنة ليحدث الاختراق أولاً، ثم تسهل السيطرة ثانيًا، كما لا يمكن عزل الأسباب الأخـرى مثل أهمية الموقع الجغرافى والثروات، وخطـوط المواصلات، إلى غير ذلك من ثروات تتميز بها المنطقة الإسـلامية والعربية، وهذا يبيِّن أهمية التحليل الكلي غير المتجزئ لهذه المسـألة، فكل عنصر من العناصر حيـن يأخذ حظه من البحث تصبح القراءة عندها أقرب إلى الحقيقة، إن لم تكن هي الحقيقة ذاتها.

وأخيرًا كيف يمكن التعامل مع الأقليات الشيعية داخل البلاد الإسلامية بشكل صحيح؛ لأن تحجيم المد الشيعي ومواجهته يستلزم مشروعًا إسلاميًّا متكاملاً قادرًا على أن يقف في وجه المشـروع الشيعي وغيره من المشاريع السياسية المرسومة للمنطقة، وهذا ما سـأعرض له من خلال هذه الدراسة المختصرة، التي أسأل الله أن يوفقني فيها للحق، وأن يعين الأمة على مواجهة هذا الخطر، ورده خاسرًا.

الفصل الأول
الأهداف المشتركة

وقبل أن نتناول الأهداف المشـــتركة التي جمعت الغرب مع الشيعة، وجعلتهم يقفون في خندق واحد ضد أهل الســـنة والجماعة؛ نقـــدم تعريفًا للأمنين: القومي والإقليمي، ثـــم نعرض لأفكار وخطط التقســـيم والبلقنة لدى كل من المشـــروع الشـــيعي والقوى الصهيوصليبية.

ولكي نســـتطيع أن نفهم الواقع الدولي بدقة بكل ما فيه من تصارع بين المشـــاريع السياسية، أو التحالفات التي بينها؛ يتحتم علينا أن نتعمق في بعض الملاحظات الجديرة بالبحث والدراسة.. **ومنها**:

١- ضرورة العودة للماضي «التاريـــخ» بجميع عناصره ومتغيراته لفهم ما يجري في منطقتنا العربية والإســـلامية في وقتنا الحاضر، فالقفز فـــوق التاريخ أو تجاهله يعني إهدار التجربة التاريخية بكل ما تحمله من سلبيات وإيجابيات، كما يؤثر بشدة على فهم هذه القضية التي نحن بصددها، وهي قضية التقريب بين السنة والشيعة.

فالاختلاف الحاصل في المواقف من هذه القضية منشؤه من أمرين:

الأول: تجاهل التجربة التاريخية للشيعة مع أهل السنة، ومنها دعوى التقريب.

الثاني: عزل الجانب الشرعي عن الجانب السياسي أثناء التعامل مع هذه القضية.

٢- يترتـــب على هذا الفهم للماضي امتلاكنا لتصـــور واضح لكيفية التعامل مع هذا الواقع، ومنه هذه القضية من حيث تحديد الوسائل المناسبة للتعامل معها.

ويربـــط الدكتور حامد ربيع بين الأمن القومي والوضع الجيوبولتيكي للإقليم -وهي هنا الصـــراع على الجغرافيا الإســـلامية-، وكذلك بينها وبين الأمـــن الداخلي والأمن الاقتصادي والعسكري.

فقـــال إن: «مفهوم الأمن القومي مفهوم يتجه أساسًـــا إلى قواعـــد التعامل الدولي الإقليمي، وبعبارة أكثر دقة يهتم بخصائص الإقليم الجيوبولتيكية.

فمفهوم الأمن القومي يتجه بالأســـاس إلى الدول المجـــاورة؛ لأنه يدور حول حماية

الإقليم القومي، وعلاقة الجوار ترتبط بسياسة التجمعات التي بدورها ترتبط بسياسة المساندة الإقليمية.

وبناء عليه فالأمن القومي عملية تحويل للضعف الاستراتيجي، وتخطي عناصر ذلك الضعف من خلال صياغة مبادئ سياسية، وهو لذلك لا يمكن أن يكون إلا حصيلة التعاون بين المخطِّط العسكري والمنظِّر السياسي.[١]

هذا والأمن القومي ينسحب على كل ما له صلة بالمصلحة العامة، ونستطيع أن نميز بين خمسة تطبيقات: الأمن الداخلي، الأمن الاقتصادي، الأمن الاجتماعي، الأمن العسكري، الأمن القومي، سياسة الأمن القومي.[٢]

ومن خلال التعريفات السابقة يتضح لنا أن الأمن القومي يعتمد على مجموعة من الأطر:

١- إطار المجتمع القومي المتجانس والمتحد.

٢- إطار سياسي واقتصادي لهذا المجتمع يراعي مصالحه، وتلتزم الدولة بحمايته وتحقيقه.

٣- إطار عقائدي وقيمي.

٤- إطار المصلحة القومية، وهناك ترابط بين المصلحة والقيم القومية، والأمن القومي.

الأمن الإقليمي وعلاقته بالأمن القومي:

الأمن الإقليمي: عبارة عن «سياسة مجموعة من الدول تنتمي إلى إقليم واحد تسعى من خلال وضع وتنظيم تعاون عسكري بين دول الإقليم لمنع أيّ قوة أجنبية، أو خارجية من التدخل في ذلك الإقليم. فهو نوع من التحالف بين دول إقليم معين لتنظيم الدفاع عن ذلك الإقليم.

وجوهر هذه السياسة هو التعبئة الإقليمية من جانب، والتصدي للقوى الدخيلة على الإقليم من جانب آخر، وحماية الوضع القائم من جانب ثالث».[٣]

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية الأمن القومي العربي والتطور المعاصر للتعامل الدولي في منطقة الشرق الأوسط، دار الموقف العربي، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٣٧-٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٢، ٣٣.

وقد ظهر هذا المفهوم قبل الحروب العالمية الثانية، وانتشر بسرعة فيما بعد.

فالتداخل بين الأمنين الإقليمي والقومي «سببه عدم قدرة الدولة على تحقيق أمنها في المجال الداخلي دون التعاون مع غيرها من دول الجوار الجغرافي، أو الاستعانة بقوى أخرى لتدعمها في هذا المجال؛ ولذا فهي تهتم بالنطاق الإقليمي للأمن؛ بسبب تأثيره على مجريات الأمور فيها، ليس من الخارج فقط، بل ومن الداخل أيضًا؛ لتأثرها سلبًا أو إيجابًا بما يدور في جوارها، وفي نطاقها الإقليمي من قلاقل واضطرابات، وما يزعزع أمنها من مهددات تفرزها الأحداث والتداخلات في دول الجوار. ومن هنا تبرز أهمية مفهوم الأمن الإقليمي».[1]

ويحدد كوهين مجموعة من التحديات التي تهدد الأمن القومي، وأنها قد لا تتخذ صورًا عسكرية بالضرورة في بعض الحالات، كأن تتعرض الدولة من خارجها لمؤثرات متفاوتة القوة تتجه إلى اقتصادياتها، أو ثقافتها، أو بنيتها الاجتماعية والحضارية؛ مما قد يشكل تهديدًا أو تحديًا لأمنها قد يفوق في آثاره غير المباشرة التهديد العسكري المباشر.

كما أن هذه المؤثرات قد تتخذ الانقلابات الداخلية منهجًا بقصد تغيير نظم الحكم، أو القيام بأعمال التخريب والإرهاب والجاسوسية، وافتعال الأزمات الاقتصادية .. وغير ذلك؛ مما يمثل تهديدًا للأمن القومي، ولكنه لا يندرج تحت التهديد العسكري المباشر.

ومن ثَم فقد اتجه مفهوم الأمن القومي ليحيط بكل هذه المؤثرات، وركز على قوة وقدرة الدولة على حماية بنيتها الداخلية من أية تهديدات، بغض النظر عن شكل هذه التهديدات ومصدرها، ولقد ارتبط قياس قدرة الدولة على تحقيق الأمن القومي بقدرتها على البقاء، والمحافظة على بنيتها وقيمها؛ مما يؤدي لاستمرار النمو بها، وتحقيق الدولة لأهدافها.[2]

ويشير كولينز لبعض عناصر قوة الدولة، والتي تتمثل عنده في: «درجة التناسق الثقافي والحضاري بين المجتمع السكاني، وفي قدرة هذا المجتمع على استيعاب تناقضاته، وإذابتها وامتصاصها، أو تجاوزها، سواء أكانت عرقية أو دينية، أو لغوية، أو

(١) جمال غيطاس، أمن المعلومات والأمن القومي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مشروع مكتبة الأسرة)، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٩.

(2) Cohen ،S.B.، Geography and Politics in a world devided ، London، Heffer ، 1974، P 98

اقتصادية، وكذلك في درجة الاستجابة التلقائية للأهداف العامة للدولة».[1]

وقبل بيان خطورة دعوة التقريب كوسيلة لنشر التشيع، ومن ثَم توظيفه لتجزئة المنطقة، نقدم الدليل على وجود أفكار لتقسيم المنطقة العربية والإسلامية، فلقد خطط أعداؤنا لمشروعين: الأول: قادته القوى الصهيوصليبية. والثاني: رسمته وسعت إليه إيران وهو مشروع فارسي يرتدي عباءة التشيع.

مخططات القوى الصهيوصليبية والشيعية لتقسيم المنطقة العربية وبلقنتها:

لقد سعت تلك القوى لتفتيت الأمة، وأقوالهم في ذلك كثيرة؛ فهذا برنارد لويس يدعو إلى تقسيم المنطقة كلها على النحو التالي: أن تقسم العراق لثلاث دويلات، والسودان إلى دولتين، ولبنان إلى خمس دويلات (مسيحية، وأخرى دُرزية، وسنية، وشعية، وعلوية)، وأن تقسم مصر إلى دولتين: قبطية وإسلامية، وبحسب تعبيره ليصبح العالم الإسلامي برجًا من ورق».[2]

وذكر الدكتور أحمد محمد النابلسي صورة لهذا المخطط؛ فقال: «إن هناك فريقاً أمريكيًّا من كبار المخططين والسياسيين الأمريكيين موجود في الدول المجاورة لإسرئيل يهدف إلى دراسة الدول العربية التي تريد أمريكا تفكيكها؛ إذ ترغب أمريكا في اختفاء دول، وظهور أخرى، فهم يرون إمكانية تفكيك المنطقة وإعادة ترتيبها كما حدث في سيكس بيكو، وتعتمد أمريكا في رسم خريطة المنطقة على حجم التناقضات الموجودة داخل الدول المستهدفة في الشرق الأوسط الإسلامي؛ فقد أثارت أمريكا مشكلة الأقليات في المنطقة لتقضي على توازنها الديمجرافي الحالي، لتنزع طابعها الإسلامي

(١) نقلاً عن عمر الفاروق، قوة الدولة دراسات جيواستراتيجية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢٤٥.
W.P.Collins،، Prespective on state and Local Politics ، Prentice، Hall ، N.J ، 1974 ،P. 12

(٢) محمد عمارة، مخطط تفتيت عالم الإسلام، جريدة المصريون الإلكترونية، ٢٠٠٨/١٠/٢٤م.
http،//www.almesryoon.com/Archive/ShowDetailsC.asp?NewID=55499&Page=1
– وقد ذكر الدكتور حامد ربيع في بحثه «احتواء العقل المصري» ما يؤكد ما ذهب إليه لويس في فكرة التجزئة والتفتيت للمنطقة، فيقول، «منطلق تاريخي، يرتبط بتجزئة الاستعمار الإنجليزي والفرنسي للمنطقة، فكلاهما حاول تكريس وجوده في المنطقة من خلال تفتيت الكيانات القوية، والاعتماد على الأقليات، وتجعل من ذلك وسيلة لصنع الفُرقة القومية». انظر، الاستعمار والصهيونية وجمع المعلومات عن مصر، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٨م، ص ١٢.

والعربي؛ فتصبح قادرة على استيعاب إلحاقات جيوسياسية تمهد الطريق أمام شرق أوسطية ممتدة، وغير قادرة على رفض عضوية إسرائيل.[١]

فعلينا إذن أن نقرأ هذه المخططات التي تستهدفنا، سواء كانت أفكارًا وأحبارًا، أو يجري تنفيذها للتعامل معها.

وقد أشار الرئيس الأمريكي السابق نيكسون في كتابه «الفرصة السانحة» إلى تجربة لبنان، وأنه من الممكن أن تحدث في كثير من بلاد العالم الإسلامي. فقال: «إن المسلمين بينهم الكثير من الاختلافات التي لا تسمح لهم أن يكونوا كتلة واحدة، ثم قال: إن التنافس بين دول العالم الإسلامي جعله بؤرة للصراعات».[٢]

وعلى الرغم مما بين المجتمع الأوروبي والأمريكي من الخلافات والاختلافات أكثر من العالم الإسلامي، إلا أنه احتوها بجملة من المشاريع القومية.. الوحدة الأوروبية كانت واحدة منها؛ وذلك أن الإرادة السياسية حرة، وقناعة المجتمع متوفرة، وقد لمست تلك الشعوب النتائج الإيجابية لهذه المشاريع، وليس ثمة شيء من هذا لدينا. فمسألة وجود خلاف لا ينبني عليه وحده تقسيم البلاد.

وذكرت مجلة كيفوييم «الاتجاهات الإسرائيلية» في عددها الصادر في ١٩٨٢/٢/٤م، مخططًا لتقسيم المنطقة؛ قدمه باحثون إسرائيليون يعتمد على تفتيت لبنان بصورة مطلقة إلى خمس دويلات –مقاطعات– إقليمية كصورة تمهيدية للعالم العربي بأسره، وتذكر المجلة أن المخطط يشمل: مصر، وسوريا، والعراق، وشبه الجزيرة العربية، وأن دولاً مثل: ليبيا، والسودان، ودول المغرب الأربعة لن تبقى على صورتها الحالية، بل ستقتفي أثر مصر بعد انهيارها وتفتيتها، فمتى تفتت مصر تفتت الباقون، فهذا صمام الأمان والسلام لإسرائيل، ويجب من الآن فصاعدًا بعثرة السكان، فهذا هو الهدف الاستراتيجي، وإذا لم يحدث فليس باستطاعتنا البقاء مهما كانت حدودنا.[٣]

فسياسة القوى الصهيوصليبية بصدد تجزئة المنطقة العربية والإسلامية منطقية مع نفسها؛ لكن الشيء غير المنطقي هو أن يتقاطع المشروع الإيراني الشيعي مع هذا المخطط ويعمل على خدمته كما حدث في (العراق – أفغانستان)، وهذا من النماذج الواضحة والمعلنة.

(١) موقع مركز الدراسات المستقبلية ٢٠٠٨/١٠/٧م. (http//www.mostakbaliat.com).

(٢) نيكسون، الفرصة السانحة، دار الهلال، القاهرة، ترجمة أحمد صدقي مراد، ١٩٩٢م ، ص١٣٦.

(٣) محمد عمارة، مخطط تفتيت عالم الإسلام. مرجع سابق.

وأشـــار الدكتور حامد ربيع إلى مســـألة توظيف الأقليات والطوائف وجعلها أداة من أدوات التفتيـــت الرئيســـة، وخاصة فيما يتعلق بالأقليات الدينيـــة، وبيَّن خطورة تحويل القناعة الدينية إلى ممارسة سياسية تسعى إلى الاستقلال، الأمر الذي يقود إلى تجزئة الجسد العربي والإسلامي.[1]

وهذا عين ما تفعله القوى الصهيوصليبية وإيران من خلال نشـــر التشـــيع، فمنطقة الشـــرق الأوســـط ســـتظل المنطقة الأكثر أهمية في الصراع الدولي لأسباب عقدية، واقتصادية، وجيواســـتراتيجية، وتاريخية، وحضارية وعسكرية؛ لهذا يعبر عنها بمنطقة قوس الأزمات Arcof Crises.

لهذا كانت منطقة الخليج وباقي الجزيرة العربية ومازالت أحد المحاور الاستراتيجية على خريطة الصراع الدولي. فكلا المشـــروعين يستهدف هدم أُسُس الإسلام من خلال هـــدم البُعد العقدي والثقافي، وتطويعه وإذابته، وكلاهما يريد الهيمنة على منطقة قلب العالم الإسلامي، فوجود منظومتي قيم في مساحة جغرافيا مستهدفة من هذه المشاريع يمثل عائقًا؛ إذ هو التحدي الأكبر بالنسبة لهم.

ونفس الشـــيء بالنسبة للمشروع الشيعي التوســـعي، والذي يركز على هذه المنطقة (شرق-أوســـط شـــيعي)؛ فالصراع مع إيران كزعيمة للشيعة في المحيط السني صراع متعدد الأبعاد فهو صراع عقدي، وثقافي، وقومي، ولهذا فالصدام المسلح وارد إذا تهيأت أســـبابه، فالموقف الثابت والكلاســـيكي لإيران أنها ترى في المحيط العربي، وخاصة الخليج وباقي شبه الجزيرة العربية، منطقة يجب أن تخضع للزعامة والهيمنة الفارسية الإيرانية.

ويتمثل تهديد المشروع الفارسي المتشيع للأمن القومي الإسلامي في:

أ- الفرســنة: والتي تمثل إطارًا أيديولوجيًا يتحرك من خلال المشـــروع الشيعي في العالم الإسلامي.

فالدستور الإيراني ينص على أن رئيس الجمهورية يجب أن يكون فارسيًا.

وإذا نظرنا إلى التاريخ نجد أن الشيعة وكافة الحركات الباطنية تستهدف قلب العالم

(١) الدكتور حامد ربيع، الاستعمار والصهيونية وجمع المعلومات عن مصر ، ص ٦٥.

الإسلامي؛ فهل من سبيل للمصادفة أن يستهدف هؤلاء الباطنيون في أوقات متلاحقة هذا القلب قديمًا، ففي سنة ٢٩٦هـ كان العبيديون في مصر والشام، والبويهيون في العراق ٣٣٤هـ، والقرامطة ٢٧٨هـ في شبه الجزيرة العربية.

فهل من المصادفة أن تسعى القوى الشيعية بقيادة إيران إلى نفس الهدف؟ وأن ترجع أصول العبيديين، والبويهيين، والقرامطة إلى أصول فارسية، وأن تكون عقائدهم الحقيقية عقيدة مزدك وماني وزرادشيت؟

وهل اختلفت عقيدة الخميني عن عقيدة رضا بهلوي حين صرح الأول فقال: «إن الإسلام والأخوة الدينية لا يلعبان أي دور ذي أهمية في سياسة إيران.. وقال إن لمصالح حكومتنا الأولوية فوق أي اعتبار إسلامي، بما في ذلك الصلاة والصيام والحج إلى مكة».[١] وصرح الثاني قائلاً: «إن مبادئ الدين المجوسي كافية لإيران وللبشرية، ولا حاجة إلى الإسلام».[٢]

وحذَّر المرجع العراقي -المعارض- آية الله حسين المؤيد من أن المشروع الإيراني في العالم الإسلامي «ليس مشروعًا دينيًّا إسلاميًّا ولا حتى شيعيًّا عامًّا، بل هو مشروع قومي فارسي»؛ كما قال: «إن السياسة الخارجية لإيران يتم رسمها وفقًا للمصلحة الداخلية، وليس للمصلحة الإسلامية، ولذلك لا يمكن أن نتفق مع مشروعها في المنطقة العربية».

وأكد أحد التقارير حول الانعكاسات السلبية للصراع الطائفي بين السنة والشيعة على أمن المنطقة العربية؛ حيث نوه إلى أن الانقسام المتزايد بين السنة والشيعة سيؤدي إلى تفتت النسيج الاجتماعي لدول المنطقة؛ وقد استند التقرير بدوره على ما تناقلته العديد من الصحف العربية حول مؤامرة إيرانية لنشر المذهب الشيعي من الهند إلى مصر. ولنربط هذا بما ذكرناه في مفهوم الأمنين القومي والإقليمي، وخاصة فيما يتعلق بالنسيج الاجتماعي وقيمه وثقافته، في تعريف كوهين السابق.

وعلى ذات النهج أشارت إحدى التحليلات إلى أن مخاطر إيران على الدول العربية زادت مع الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م، والتي حملت مشروعًا قوميًّا ومذهبيًّا يهدد أمن

(١) رياض نجيب الريس، مصاحف وسيوف.. إيران من الشاهنشاهية إلى الخاتمية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان،٢٠٠٠م، ص ٤٧.

(٢) كامل الدقس، الاعتداءات الباطنية على المقدسات الإسلامية، هجر للطباعة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ١١.

المنطقة، موضحًا أن: الثورة الإسلامية استمرت تدين لقوميتها الفارسية، وما تغير هو أن هذه القومية ظهرت تحت عنوان إسلامي.[١]

فالمسألة الفارسية لا يمكن عزلها لا عن تاريخ الصراع في المنطقة العربية، ولا عن المشروع الإيراني، يقول الأستاذ عادل علي عبد الله: «والمسألة الفارسية لصيقة بتاريخ المنطقة، والتصارع العربي الفارسي يمتد إلى العصر الجاهلي، والاصطفاف مع الفرس أو ضدهم مسألة تسبق الوجود الإسلامي -البعثة النبوية-...

ثم يقول: فالطموح الإمبراطوري الفارسي الحالي يعود للعهد الساساني، وإن كان إسماعيل الصفوي (٩٠٧هـ - ١٥٠١م) قد نقله نقلة نوعية على المستويات السياسية، والعقائدية، والفقهية بتحويله لولاية الفقيه من الحيز الفقهي الجزئي إلى العامل السياسي الاستراتيجي».[٢]

وهنا يظهر ما أشرنا إليه في مقدمة هذا الفصل من أهمية التجربة التاريخية بكافة عناصرها، فالإرث التاريخي يداعب مخيلة الإيرانيين لإعادة الإمبراطورية القديمة، فالتاريخ كان دائمًا ملهمًا ومغذيًا لكل محاولات السيطرة وبسط النفوذ.

وماذا كان يصنع موسوليني عندما حاول إعادة مجد الإمبراطورية الرومانية؟ كان يستلهم التاريخ.

والمشروع الصهيوني الآن يحاول إعادة مجد مملكة داود، وبناء الهيكل.

فالتاريخ لا يمكن تجريده عن كافة مكوناته، وأهمها التاريخ السياسي والعقائدي والثقافي للمنطقة، هذا بالإضافة إلى وجود النزعة العنصرية الاستعلائية بروحها الفارسية.

فهذا رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية أحمدي نجاد أثناء استقباله لوفد من اليهود الأصفهانيين، وعلى رأسهم هارون ياشاتي استهل كلمته بمقولة لأبي القاسم الفردوسي -الشاعر الفارسي الأصفهاني- في ملحمته الشعرية الشهنامة «الكلب يلعق الثلج في أصفهان، والعربي يأكل الجراد في الصحراء».[٣]

(١) عمر الحسن، مخاطر التشيع في العالم العربي، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية.

(٢) محركات السياسة الفارسية في المنطقة، الحلقة الأولى، مجلة الراصد، العدد ٦٩، ربيع الأول ١٤٣٠هـ، ص ١١.

(٣) علاء الدين حمدي، بروتوكولات ملالي إيران العلاقات الإيرانية - اليهودية، موقع البينة، ١٤٣٠/٣/٣٠هـ - ٢٠٠٩/٣/٢٦م؛ http//albainah.net/index.aspx?function=Item&id=27590

والرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي قدم ديوان الفردوسي المحلَّى بالذهب إلى البابا الكاثوليكي، وفي أثناء لقائه بالبابا حمد الله أن أصبحوا مسلمين ولم يتحولوا للعروبة؛ ليؤكد بذلك على تعصبه الفارسي، ومن جهة ثانية يدغدغ العواطف السياسية المضادة للعرب عند الغرب. ومازالت إيران «الإسلامية!!» تحتفل بعيد النيروز الفارسي حتى الآن، ومنحته صفة دينية بحسب ما ذكر عباس القمي في «مفاتيح الجنان».

هذان هما نجاد وخاتمي الفارسيان المتشيعان عدوًّا إسرائيل والشيطان الأكبر، إنها مسرحيات هزلية تناسب الفكر الشيعي ومعتقداته الباطنية.

وليس هذا هو الموقف الوحيد لزعيمة الشيعة في العالم إيران الفارسية؛ فيذكر الدكتور تريتا بارسي أستاذ العلاقات الدولية في جامعة جون هوبكينز الأمريكية، ورئيس المجلس القومي الإيراني- الأمريكي، في رسالة الدكتوراه التي عنوانها «التحالف الغادر: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران وأمريكا»-: أن هناك أكثر من ١٣٠ لقاء مباشرًا بين إيران وإسرائيل والأمريكيين.[١]

إذًا فأين موقع السبّ واللعن للشيطان الأكبر وحليفته من الإعراب السياسي؟!!

إنه استهلاك شعبوي يناسب السوقة والدهماء والجهلة، كما أنه يعمل كرافعة سياسية، فما سر هذا الهوى والتلاحم الفارسي مع القوى الصهيوصليبية؟

ببساطة لأن هناك شراكة عقائدية وسياسية[٢]؛ فالكتب الشيعية المعتمدة المنشورة في إيران «عدوة إسرائيل والشيطان الأكبر أمريكا!!» تذكر أن أول ما يفعله مهديهم المزعوم هو قتل العرب، وفي مقدمتهم قريش، ويهدم الكعبة، والمسجد الحرام، وينقل الحجر الأسود إلى الكوفة التي ستصبح عاصمة ملكه، وسيقتل كل الذين لا يؤمنون به؛ بل سيُخرِج الأموات من العرب والسُّنّة، وأولهم أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- ويحرقهما ويقطع أيادي بني شيبة حاملي مفتاح الكعبة، ثم ماذا؟ ثم يُخرج التوارة الحقيقية، وبقايا آثار بني إسرائيل، وعصا موسى، ومنبر سليمان وهيكله، وشيئًا من المنِّ.. ثم ماذا؟ ثم يحكم بحكم آل داود!! فأين محمد وآل محمد؟!!

(١) علاء الدين، بروتوكولات ، ١٤٣٠/٤/١٤هـ -٢٠٠٩/٤/١٠م؛
http//albainah.net/index.aspx?function=Item&id=27788&lang=

(٢) للمزيد انظر، الجميلي، بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود؛ عبد المنعم البري، الجذور اليهودية للشيعة في كتاب علل الشرائع للصدوق الشيعي.

ولعل هذا يفسر لنا شيئًا من صور التحالفات السياسية للشيعة مع خصوم الأمة، وكثرة خيانتهم للأمة، ألم يقدم «الشـــيطان الأكبر» أمريكا الدعم لثورة الخميني زمن كارتر[١]، وهذا مـــا أكده اللواء أ.ح. د. فوزي طايل الذي قال: «.. وهكذا أطاحت الاســـتخبارات الأمريكية بالشاة في ١٦ يناير ١٩٧٩م بعد أن استنفد دوره، والغرض من وجوده».[٢]

إن الموروث الفارسي ونظرته للعرب لم تختلف يومًا قبل الإسلام وبعده، فليست إلا الفارسية الإيرانية، ونظرتها المحتقرة للعرب، فنجاد لم يفعل سوى التعبير عن موروثه الثقافي.

وقال الدكتور فاروق عمر -أســـتاذ التاريخ بجامعة بغداد ســـابقًا-: «كان الشعوبيون الفرس في العصر العباســـي يقولون ســـاخرين من العرب: لم يكـــن للعرب ملك يجمع سوداها، ولا كان لها نتيجة من صناعة ولا أثر في الفلسفة».

ويقـــول الخميني: «إن العرب لـــم يكونوا غير بدو رعاة وقراصنـــة ديدنهم مهاجمة السفن والســـواحل»، ويقول أيضًا: «فالمنافقون العرب -يقصد المسلمين- أسلموا عن خوف، ولهذا لم يكن إســـلامهم حقيقيًا، أما الإيرانيون فقد أســـلموا عن رغبة من تلقاء أنفســـهم».[٣] ولا داعي إذًا لأن تذكر كتب التاريخ القادســـية وجلـــولاء ونهاوند.. ضمن فتوحات المسلمين لبلاد الفرس!!

وقد تحدث الدكتور محمد الســـعيد إدريس -المتخصص في الشـــئون الإيرانية في مركز الأهرام- عن المشروع الإيراني الذي يحمل معالم الفرسنة، فقال: «هناك محددات أساسية في سعي إيران للقيام بدور إقليمي..

أولها الدور الإمبرطوري الإيراني التاريخي، فقد كانت إيران دائمًا دولة إمبراطورية، ولـــم تتوقـــف عن هذا الدور، كما أن التشـــيع في إيران بدأ سياســـيًا، وهو الآن أصبح هويـــة، ومن الصعب الفصل بين إيران والتشـــيع. ثانيها الدور الرســـالي الإيراني الذي

(١) جرهارد كونســـلمان، سطوع نجم الشـــيعة الثورة الإيرانية ١٩٧٩-١٩٨٩م، ترجمة محمد أبو رحمة، مكتبـــة مدبولي، القاهـــرة، الطبعة الثانيـــة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ص١٨٤-١٨٨، فصل الولايات المتحدة تتلاعب بالخميني.

(٢) كيف نفكر استراتيجيًا؟ دار الوفاء، المنصورة، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٩. نقلاً عن:
William Stivers،America>s confrontion with Revolutionary change in The Middle East، PP 19-20، 85.

(٣) فاروق عمر، الخمينية وصلتها بحركات الغلو الفارسية وبالإرث الباطني، منشورات المؤتمر الإسلامي الشعبي، ٢٠٠١م، ص ١٤٧.

بدأ مع الثورة الإســـلامية -الخمينية- حيث إن الجمهورية الإســـلامية الإيرانية أُسِّست لاستقبال الإمام، وأن يكون له دولة وجيش، والمعركة الأساسية لهذه الدولة هي فلسطين وتحريرهـــا؟! وهذا لا ينفصل عن الصفة الشـــيعية؛ فقد أصبحت إيران الدولة الوحيدة الشيعية مما يجعلها مسئولة عن كل شيعة العالم».[1]

ولكن هل فلســـطين وتحريرها تمثل هدفًا إيرانيًا حقيقيًا؟! إن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة؛ فالحقيقة أن الشيعة لا يعتبرون الأقصى في بيت المقدس، بل في السماء، وأن مسجد الكوفة أفضل منه؛ فأي أهمية لفلسطين بدون الأقصى وبيت المقدس.[2]

وهل نســـي المسلمون ما ارتكبته حركة أمل الشـــيعية ضد الفلسطينيين الذين كانوا يقيمـــون في المخيمات الفلســـطينية ببيروت عام ١٩٨٥م، فقد أعـــدت العدة لمجزرة استمرت شهرًا كاملاً قتلت فيها عددًا كبيرًا من الفلسطينين.

وكيف كان ردّ الخميني عندما ذهب الشـــيخان أســـعد بيوض التميمي، وغازي عبد القادر الحســـيني إلى إيران عام ١٩٨٦م، وطلبوا من الخميني أن يتدخل لوقف المجازر التي ترتكبها حركة أمل ضد الفلســـطينيين في جنوب لبنان، ولكنه رفض ذلك، ثم ذهبوا بعد ذلك إلى نائبه منتظري، فأصدر فتوى تســـتنكر هذه المذابح، ولكن الخميني غضب على منتظري؛ لأنه تجاوزه، فكان هذا أحد أسباب عزله من نيابة الخميني.

وأعلن الخميني بعدها بشـــكل مســـرحي -كما هو حال قادة إيران والشـــيعة الآن- شعارات: «الموت لأمريكا وإسرائيل».

لكن من يموت هم دائمًا أعداء الخميني من أهل السنة، وأعداء إسرائيل من المجاهدين هم من يموتون فقط!![3]

وليس ببعيد عنا ما حدث أثناء الحرب على غزة في العام الماضي، فقد استغلتها إيران في قمع أهل السنة في إيران، ومنعهم من التعبير عن موقفهم في الشارع الإيراني.

---

(١) ندوة المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية بتاريخ ٢٧-٢٨ أغسطس ٢٠٠٨م:
(2) http//icfsthinktank.org/Arabic%5CDefault.aspx?lang=ar
المجلسي في بحار الأنوار ج ٩٧، ص ٤٠٤، ٤٠٥ ؛ والقمي في منتهى الآمالي ص ٧٠؛ وابن قولوبة كامل الزيارات، ص ٨٠ (نقلاً عن طارق أحمد حجازي، الشـــيعة والمسجد الأقصى، لجنة الدفاع عن عقيدة أهل السنة، فلسطين، ص١٤، ١٥).

(٣) أسامة شحادة، تلاعب إيران بالقضية الفلسطينية، مجلة الراصد، العدد ٧٠، ١٤٣٠هـ، ص ٢٥، ٢٦.

ب- الصراع على الجغرافيا الإسلامية والأماكن الجيواستراتيجية:

يتجســـد الصراع على الوضع الجيواستراتيجي للأمن القومي العربي والإسلامي من خلال النظر إلى خريطة الانتشـــار الشيعي في الخليج، والســـعودية، والعراق، والشام، والهند، وباكستان، وأفغانستان، وإفريقيا، ومصر، بل وصل التمدد الشيعي إلى الأمريكتين؛ لندرك حجم التهديد الشيعي للأمن القومي العربي والإسلامي.

ويمكننا أن نلخص الصراع على الجغرافيا الإسلامية والأوضاع الجيواستراتيجية فيما يلي:

١- وجود الغالبية العظمى من الشـــيعة في الخليج والسعودية في المناطق الشرقية المتاخمة جغرافيًّا لإيران؛ مما جعلها على علاقة مباشرة بها.[١]

٢- استخدمت إيران أســـلوب التحرك الجيوسياسي في إطار تصدير الثورة تمهيدًا «لمملكة المهدي المنتظر» التي تشـــمل -إلى جانب إيـــران- الحجاز، واليمن، والعراق، وبلاد الشام، وفلسطين، ومصر، والمغرب العربي.[٢]

فمن صور التحرك الجيوسياسي التي استخدمتها إيران -كما يذكر عبد الله الغريب- سياسة التهجير كوسيلة للسيطرة على الجغرافيا الإسلامية؛ فالمخطط الإيراني للسيطرة على الخليج اعتبر الهجرة أحد ركائز هذا المخطط.[٣]

وفي هذا الإطار يقول رفسنجاني: «تأمل إيران أن تعتمد السعودية على اليد العاملة الإيرانية، والبضائع والمنتجات الإيرانية».[٤] كي يتم إيجاد تكتل بشري إيراني يشبه إلى حد كبير ما كانت تمارســـه إيران من تصدير أو تهجير مواطنيها إلى مناطق مختلفة من دول الخليج؛ ليسهل عليها فيما بعد المطالبة بها؛ بحجة أن معظم سكانها إيرانيون، كما تهدف هذه الخطوة على المدى البعيد إلى ربط اقتصاد السعودية باقتصاد إيران.

فهذا الاستيطان الشـــيعي في الدول الإسلامية المجاورة لإيران وصناعة جيتوهات شـــيعية في المدن والقـــرى هو الجزء الأول من الخطة الخمســـينية التي ذكرتها بعض

(١) عمر الحسن، مخاطر التشيع.

(٢) عادل علي عبد الله، محركات السياســـة الفارسية في المنطقة- الحلقة الثانية، مجلة الراصد، العدد ٧٠، ١٤٣٠هـ، ص ١٦، ١٧.

(٣) دراسات التجمعات الشيعية في العالم العربي (الكويت)، مجلة الراصد، العدد ٥، ١٤٢٤هـ، ص ٦٧، ٦٨.

(٤) الملامح العامة للسياسة الخارجية الإيرانية، مجلة الراصد، العدد ٢، ١٤٢٤هـ، ص ٣٨.

التقارير عن المشروع الإيراني.[١] وهذه الجيتوهات فكرة صهيونية في الأساس، وفي هذا إشارة لما بين الفكرتين من علاقة وترابط على مستوى التكتيك السياسي والعسكري.

إضافة للتشابه في العقيدة؛ فمن عقائد الشيعة الانفصال عن بقية المسلمين واعتبارهم أعداء معتدين على آل البيت والشيعة؛ لذلك فهم يعيشون في تجمعات صغيرة غير مندمجة مع الآخرين، وتسعى للوصول إلى مراكز السلطة والقوة، وترتبط بالمرجعية الدينية أكثر من ارتباطها بالدولة التي هي فيها، كما هو معروف عنهم.[٢]

ومن المناطق التي تمثل جيتوشيعي مدينة السادس من أكتوبر في مصر، وحي السيدة زينب بدمشق.[٣] كما أن لهم انتشارًا بنسب متفاوتة في الشرقية والدقهلية والغربية وغيرها في مصر.

كما أخذ الصراع على الجغرافيا والأماكن الجيواستراتجية صورة التهجير القسري للسنة، كما حدث في العراق عن طريق قتل النخب العلمية والسياسية والعسكرية من أهل السنة، وتهجير الباقين إلى صحراء منطقة الرمادي وتكريت، والسيطرة على ديالي؛ حيث الغالبية السنية، ومن ثَم السيطرة على سامراء - بحجة كونها من العتبات المقدسة؛ حيث يوجد ضريحا الإمامين الشيعين اللذين هما أكثر تعظيمًا وقدسية عندهم من بيت المقدس ذاته، وبذلك تصبح الحدود الإيرانية العراقية في مأمن من كردستان شمالاً حتى البصرة جنوبًا لنقل المساعدات والدعم اللوجستي.[٤]

وفي لبنان -خاصة الجنوب- من قِبل حزب الله، وفي سوريا انتشرت التجمعات الشيعية في دمشق. والهدف محاولة خلخلة التركيبة السكانية، عن طريق تشتيت مراكز السنة، وإيجاد جيتوهات شيعية في الأماكن المهمة.[٥]

وعلى الصعيد الجيوسياسي توجد لإيران علاقات ثقافية وعائلية ومذهبية مع الشيعة في المنطقة الشرقية بالسعودية، كما تمتلك التواصل والارتباط الوثيق بمناطق الوجود الشيعي «الكثيف» في البلاد المجاورة، مثل العراق، والشام والكويت والبحرين وغيرها

(١) أمير سعيد، خريطة الشيعة في العالم، مركز الرسالة، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ١٢٣- ١٢٨.
(٢) دراسات التجمعات الشيعية، هامش ١، ص ٦٦.
(٣) أمير سعيد، خريطة الشيعة، ص ١٣٥.
(٤) فرست مرعي، الصفويون الجدد ومحاولات تشييع العراق، مجلة البيان، العدد ٢٤٥، ١٤٢٩هـ، ص ٦٦.
(٥) عادل علي، محركات السياسة، الحلقة الثانية، ص ٢٠.

مـــن دول الخليج العربي. والمعروف أن المنطقة الشـــرقية تعتبر الحزام النفطي الذي يشـــكل أكبر مخزون مـــن الاحتياطي النفطي العالمي، أما الركن الثاني؛ فيتجســـد في امتداد العلاقات الجيوسياسية للشيعة السعوديين بنظرائهم في إيران.[١]

إضافة إلى التهجير القســـري والهجرة، فهناك الســـيطرة المباشرة كاحتلال إيران للأحواز، والجزر الإماراتية الثلاث، وشط العرب.

كما تدعي إيران بحســـب ما صرح به مستشار المرشد الأعلى علي شريعتمداري بـ: «أن البحرين جزء من الأراضي الإيرانية، وأنها انفصلت عن إيران في تسوية غير قانونية بين الشاه وأمريكا وبريطانيا».[٢] والبحرين تعني في المفهوم الفارسي المنطقة الممتدة من شط العرب حتى مسقط.

وهذا باختصار تهديدٌ للأمن القومي الإسلامي، فيما يتعلق بالصراع على الجغرافيا والأوضاع الجيواستراتيجية.

وهناك نموذج آخر للسيطرة على الجغرافيا الإسلامية من خلال السيطرة على رأس الدولة، ونموذج ذلك رئيس جزر القمر، وهذا يبين لنا أن عملية تشـــييع جزر القمر قد بدأت منذ زمن بعيد، حتى وصول سامبي للحكم بأجندة شيعية إيرانية.

فالمشروع الإيراني إذن يتجاوز الهلال الشيعي إلى إمبراطورية عالمية شيعية، تمتد من الهند وحتى مصر[٣].

وذكر الدكتور محمد عبد السلام خطورة الوجود الشيعي الإيراني في إفريقيا والهدف منه؛ فقال: «تحاول إيران بوجودها في إفريقيا إنشاء تكتل أفرو-آسيوي، وإذا كان القرن الإفريقي يمثل عمقًا استراتيجيًا لمصر فهو منطقة احتكاك قادمة بين إيران ومصر».

وقال الدكتور محمد الســـعيد إدريس: «إن هناك ثلاث دوائر للاشـــتباك بين مصر وإيران: الخليج، والمشرق العربي، وإفريقيا، ويشير إلى زيارة خاتمي لسبع دول إفريقية عام ٢٠٠٥م».[٤]

(١) عمر الحسن، مخاطر التشيع، مرجع سابق.
(٢) أمير سعيد، خريطة الشيعة، ص ١٩٢.
(٣) عمر الحسن، مخاطر التشيع، مرجع سابق.
(٤) ندوة بالمركز الدولي للدراسات المستقبلية، ٢٠٠٦/٦/٦م.

وقال الأســـتاذ عادل علي عبد الله: «إن إيران دولة ذات مشروع شيعي عالمي، يمتد من أمريكا اللاتينية، لكن عينها على قلب الجغرافيا الإسلامية».[١]

وجاء على لســـان علي أكبر ولايتي -مستشار المرشد الأعلى حاليًا ووزير الخارجية الإيرانية لمدة ١٦ عامًا- ما نصه: «بعد الإطاحة بنظام طالبان في كابل، ودكتاتورية البعث في بغداد، أوجدت الولايات المتحدة فرصة تاريخية لإعادة صياغة الشرق الأوسط، ومع رحيل طالبان وصدام حســـين، تشعر إيران بالأمان على حدودها، ويمكنها أن تنتقل إلى الهجوم سعيًا لتحقيق طموحاتها الإقليمية».[٢]

وتحدث أول رئيس للجمهورية الإســـلامية في إيران أبو الحسن بني صدر عن حقيقة المشـــروع الإيراني فقال: «كان الخميني يريد إقامة حزام شـــيعي للسيطرة على ضفتي العالم الإسلامي يتألف من إيران، والعراق، وسوريا، ولبنان وعندما يكون سيدًا لهذا الحزام يستخدم النفط، وموقع الخليج الفارسي للسيطرة على بقية العالم الإسلامي».[٣]

إن إصرار إيران على تســـمية الخليج العربي بالفارســـي، ورفضها تسميته بالخليج الإسلامي، هو ما يؤكد فارسية الثورة الإيرانية بجلاء.

وهذا ما استنتجه الأستاذ محمد حسنين هيكل عندما زار الخميني بعد الثورة، وأكده إيريك رولو ســـفير فرنسا السابق: «بأن مشروع الخميني قومي فارسي وليس إسلاميًا»، وكان الخمينـــي قد أخبره قبل ذلك في باريس بأنه ســـيعتمد اللغة العربية لغة رســـمية لإيران إذا نجحت الثورة في إيران.[٤]

فمشـــروع الإمبراطورية الفارسية بدثارها الشيعي متأصل في العقلية الإيرانية، فقد ذكر شهبور بختيار -الذي قلده الشاه السلطة في إيران حينما تركها-: «إن الشاه محمد رضا بهلوي كانت له أحلام توســـعية كبيرة، فقد أرسل موسى الصدر إلى لبنان من أجل تعزيز مشـــروع إنشاء دولة شـــيعية تضم إيران والعراق ولبنان، ووعده الشاه بخمسمائة ألف دولار مقابل ذلك».[٥]

(١) محركات السياسة، الحلقة الأولى، ص ١٠، الراصد. نت.

(٢) عبد المنعم شفيق، حزب الله على أي أساس يقاتل؟، مجلة البيان، العدد ٢٢٩، ١٤٢٧ هـ، ص ٧٩.

(٣) علاء الدين، برتوكولات، مرجع سابق.

(٤) أمير سعيد، خريطة الشيعة، ص ٨٥، ٨٦.

(٥) عبد المنعم شفيق، حزب الله رؤية مغايرة، حقيقة المقاومة، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، ص ٧٦.

جـ – من خلال التحالف والتنسيق بين إيران المتشيعة والقوى الصهيوصليبية:

يقول سفنديار مشـــائي –نائب الرئيس الإيراني نجاد–: «إن إيران اليوم هي صديقة الشعب الأمريكي والشعب الإسرائيلي».[1]

وقـــال زيور مائور –الباحث بمعهد أوميد الإســـرائيلي–: «إن إيران لا تشـــكل خطرًا على إســـرائيل، ولا تريد تدميرها، بل هي في حاجة إليها، وتعتبرها مكسبًا استراتيجيًّا مهمًّا حتى تظل قوة عظمى في المنطقة». ونفس الشـــيء قاله ديفيد ليفي وزير خارجية إسرائيل الأسبق لجريدة هآرتس بتاريخ ٦/١/ ١٩٩٧م.[2]

بل وصل الأمر إلى حد أن إيران الفارســـية زعيمة الشيعة في العالم عرضت صفقة على إســـرائيل، فقد نشرت مجلة الوطن العربي الباريسية تحت عنوان «الهلال الشيعي يعرض الســـلام على إسرائيل»، وقد أجمع الخبراء الذين اطلعوا على هذه الرسالة على أنها دعوة إيرانية واضحة للتســـوية بما في ذلك السلام مع إسرائيل، بل والضغط على حماس والجهاد لقبولها».[3]

أما عن العلاقة بين إيران الخمينية وأمريكا؛ فقد تم تعميد الثورة الخمينية أمريكيًّا؛ فيذكـــر روبرت كارمن درايفوس في كتابه «رهينة خميني»: «أن إدارة كارتر قامت بتعميد هادئ مســـبق وخبيث، واشـــتركت في كل خطوة، ابتداءً من الاستعدادات الدعائية إلى تجهيز الأسلحة والذخيرة».

وقال الأســـتاذ حسن الرشـــيدي: «وعند رصد التعاون الإيراني الأمريكي في الفترة الأخيـــرة لا يفوتنا التنســـيق الجـــاد بيـــن الإدارة الأمريكية والحكومـــة الإيرانية حول أفغانستان».

وذكر آدم إرلي المتحدث باســـم الخارجية الأمريكية أن: «أمريكا وإيران تلتقيان على جامع مشترك هو الخلاص من أي مقاومة مسلحة على الساحة العراقية».

وقال جـــورج فردمان: «بأن المصالح الأمريكية والإيرانية لم تكن شـــديدة التباعد،

(١) صحيفة اعتماد، ووكالة فارس الإيرانيتين، ٢٠٠٨/٧/٢٠م.

(٢) علاء الدين، برتوكولات ، مرجع ســـابق، أمير سعيد، مرجع ســـابق، ص ١٠٢. والخلاف الأخير سببه محاولة إيران اللعب لحسابها دون شركاء، والإخلال بتوازن القوى في الخليج الذي يمثل نقطة الاصطدام بين إيران والقوى الصهيوصليبية، وتهديد الأوضاع السياسية والاقتصادية في الخليج خاصة.

(٣) أمير سعيد، خريطة الشيعة، ص ١٠٠.

فأمريـــكا تعتمد إلى أقصى درجة على الإيرانيين وعملائهم الشـــيعة، خاصة في حربها مع العراق».

وعن التنســـيق بين إيران وأمريكا تشير مصادر صحفية إلى أن هناك مجالاً مفتوحًا بين أمريكا وإيران بخصوص العراق يديره رفسنجاني وعلي أكبر ولايتي.[١]

ويكشـــف صاحب كتاب الحجاب بوب وودورد: عن وجود قنوات مفتوحة بين أمريكا وإيران منذ الثورة الخمينية وحتى الآن، وذكر أن هناك لقاء جمع بين ابن أخت رفسنجاني ومدير اســـتخبارات الحرس الثوري الإيراني بأوليفر نورث عضو مجلس الأمن القومي الأمريكي.[٢]

وتحدثت الأوبزيرفر البريطانية كذلك في أبريل ١٩٨٤م عن وجود تعاون بين إسرائيل والخميني -زعيم الشـــيعة وعدو الشـــيطان الأكبر-، وأكدت ذلك المجلة السويدية TT يوم ١٩٨٤/٣/١٨م، وذكرت أنه قد تم عقد صفقة أســـلحة إسرائيلية مع إيران بقيمة ٤ مليارات دولار.[٣]

وقد نشرت مجلة أكتوبر المصرية عدد أغسطس ١٩٨٢م: أن إيران عقدت صفقة مع إسرائيل، اشترت بموجبها جميع السلاح الذي أخذته من الفلسطينيين في لبنان.

وقد أكدت هذا التعاون مراكز بحثية دولية عالمية كثيرة مثل «راند» و«مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية CSIS». وغيرها من المراكز البحثية في العالم العربي كمركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، ومركز الخليج ويظهر هذا في دورياتهم وتقاريرهم. بل وصل الأمر إلى أن يعرض رفســـنجاني الخدمات على الشـــيطان الأكبر؛ فيقول: «إن إيران هي الدولة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها للدفاع عن أمن منطقة الخليج ومواردها النفطية».[٤]

كما افتخر رفســـنجاني في خطاب لـــه بجامعة طهران بأنه لـــولا الجيش الإيراني الشعبي ما استطاعت أمريكا أن تُسقِط طالبان.[٥]

(١) حسن الرشيدي، اللعبة الإيرانية في أرض الرافدين، مجلة البيان، عدد ٢٠٣، ١٤٢٥هـ، ص ٧٦، ٧٧.
(٢) ضيـــف اللـــه الضعيان، العلاقات الأمريكيـــة الإيرانية الوجه الآخر، مجلة البيان، التقرير الســـنوي، الإصدار الرابع، ١٤٢٨هـ، ص٢٣٦.
(٣) ضيف الله، المرجع السابق، ص ٢٣٦.
(٤) السياسة الدولية، عدد يناير ١٩٩١م، ضيف الله الضعيان، العلاقات الأمريكية الإيرانية، ص ٢٣٧.
(٥) الشرق الأوسط، ٢٠٠٢/٢/٩م.

وقـــد صرح جلال الطالباني لصحيفة الحياة اللندنية بعد زيارة له إلى طهران بقوله: «أنا للتاريخ أشـــهد بأنهم -أي الإيرانيون- قالوا: إنهم مستعدون للتفاهم مع أمريكا من أفغانستان إلى لبنان».[١]

هـــذا وموقف إيران من المقاومة لا يقل خطورة عن موقف الأمريكان أنفســـهم، فإن تقاريـــر المقاومة العراقية تؤكد أنه لولا الدور الإيراني المتحالف مع الأمريكان لتمكنت المقاومة العراقية من كسر هذا المشروع مبكرًا.[٢]

قال أبطحي: «إنه لو لم تساعد قواتنا في قتال طالبان لغرق الأمريكيون في المستنقع الأفغاني، ويجب على أمريكا أن تعلم أنه لولا الجيش الإيراني ما اســـتطاعت أمريكا أن تُسقِط طالبان وبغداد بهذه السهولة».[٣]

بل وصل الأمر إلى أبعد من ذلـــك؛ فقد صدرت الصحافة الإيرانية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م تحت عنوان كبير هو: «كلنا أمريكيون»!![٤]

وليس هذا بمستغرَب في السلوك السياسي لإيران -قديمًا وحديثًا- في طعنها للأمة في ظهرها وتحالفها مع أعدائها، يقول شـــريعتي: «التشـــيع الصفوي ظهر وتحالف مع القوى الصليبية.. وقد كانت الضربة التي وجَّهها التشيع الصفوي للأمة الإسلامية بمثابة طعنة في الظهر تجلت على شـــكل لقاءات مشـــتركة بين الســـلاطين الصفويين وملوك أوروبا تمخضت عن اتفاقات ومخططات للقضاء على الدولة العثمانية السنية».[٥]

وقد قال أحد المستشرقين: «لولا الصفويون في إيران لكنا اليوم في فرنسا وبلجيكا وأوروبـــا نقرأ القرآن كالجزائريين».[٦] ولكن المختلف عليه في هذا التحالف يدور حول الغنائم ومناطق النفوذ، والذي يمثل الخليج نقطة الاحتكاك والصدام المســـتقبلية، ففي كلا الاستراتيجيتين يمثل الخليج أولوية قصوى، فقد تبنى نيكسون: «فكرة فصل منطقة

(١) ضيف الله الضعيان، العلاقات الأمريكية الإيرانية، ص٢٤١.

(٢) محمد عياش الكبيســـي، حقيقة الدور الإيراني في العراق بعـــد الاحتلال، مجلة البيان، العدد ٢٢٤، ١٤٢٧هـ، ص ٧٠.

(٣) أســـامة ســـليم، الصندوق الأســـود للعلاقات الأمريكية الإيرانية، مجلة البيان، العدد ٢٤٨، ١٤٢٩هـ، ص٦٣؛ أمير سعيد، خريطة التشيع، ص١٠٥، ١٠٦.

(٤) أمير سعيد، خريطة التشيع، ص ١٠٥.

(٥) المرجع السابق ص ١٠٣، ١٠٤.

(٦) ضيف الله الضعيان، العلاقات الأمريكية الإيرانية، ص ٢٣٤.

الخليج العربي (الفارسي) عن باقي منطقة الشرق الأوسط، بسبب أهميته الحيوية؛ لوجود معظم احتياطي البترول العالمي فيه، وأصبحت الولايات المتحدة تتحرك في هذه المنطقة في إطار استراتيجية ضخمة تشمل الحوض الخليجي والمحيط الهندي، الذي اعتبرت أمريكا أنه يحتل أعلى درجات الأولوية».[1]

فمنطقة الخليج بالغة الأهمية في الاستراتيجية الأمريكية، يقول الرئيس الأمريكي السابق كارتر أمام الكونجرس يوم ١٩٨٠/١/٢٣م: «إن أي محاولة من قوى خارجية للسيطرة على منطقة الخليج سوف يُنظر إليها على أنها هجوم على المصالح الحيوية الأمريكية، وسوف يتم رد هذا الهجوم بكل الوسائل بما في ذلك القوة المسلحة».

وقد أنشأ ريجان قوة الانتشار السريع -والتي كانت بالأساس فكرة سلفه كيندي- وقوامها نصف مليون جندي، مهمتها الاستيلاء على بترول الخليج بالقوة المسلحة إذا تعرضت مصالح أمريكا للخطر في هذه المنطقة.[2]

وأكد المشير أبو غزالة على أهمية الخليج العربي لأمريكا فقال: «إن منطقة الخليج كانت ومازالت أحد محاور الاستراتيجية الدولية الرئيسة على خريطة الصراع العالمي.. وأهميتها كبيرة في الاستراتيجية الأمريكية».[3]

ولذلك كله فإن النظر إلى التجربة التاريخية غاية في الأهمية، ونحن نتعامل مع هذه القضية.

د- الأهداف المشتركة لهذا التحالف الأسود:

١- يشتركان في العداء لأهل السنة دينيًا ومذهبيًا، والعرب عنصريًا.

٢- كل من الطرفين يطمع في مقدرات العالم الإسلامي عامة، والعربي خاصة، والخليجي بصفة أخص.

٣- كلا الطرفين يحتلان أرضًا عربية ويطمحان إلى المزيد.

٤- لكل من الطرفين أذناب، وأتباع من العرب المغفلين، أو المنافقين الذين يعملون لحسابهم، ويمكن استعمالهم في حروب بالوكالة وقت الحاجة.

(١) فوزي محمد طايل، كيف نفكر استراتيجيًا؟، ص ٢٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٧، ٢٩١.

(٣) أبو غزالة، الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠- ١٩٨٨م، ١٩٩٤م، ص ٢٩، ٣٠.

٥- لكل منهما مشروعه الكبير الذي يريد أن يهيمن به علينا.[١]

ونتفق مع الدكتور عبد العزيز كامل في قوله: «لا ينبغي أن يشغلنا أحد الخطرين عن الآخر، أو يفرض علينا أن نطيل الاختلاف حول أشد الخطرين وأول التحديين، فالخطر ماثل من الاثنين معًا، ولا بد من التعامل مع كل منهما».

ويشـــير كذلك «إلى وجـــود خطر ثالث يتمثل في المنافقين مـــن الإعلاميين، وممن يسمون مثقفين، وعلمانيين، ومن على شاكلتهم».[٢]

(١) عبد العزيز كامل، أزمة الخليج الرابعة، منطقة الخليج بين خطرين، مجلة البيان، العدد ٢٢٩، ص٧١ ، ٧٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٧٥.

الفصل الثاني
لماذا يستهدفون السنة والعرب ؟

هـــذا ســـؤال مهم، كثيرًا ما أجاب عنـــه أعداؤنا، ولكننا لا نقرأ كثيـــرًا لنعرف ماذا يخططـــون لنا، لقد قال بن جوريون –وهو أول رئيس وزراء لدولة الكيان الصهيوني– في تصريـــح له: «إننا نعيش في محيط ســـني، ولذلك على إســـرائيل أن تتعاون بل وتجند الأقليات العرقية، والمذهبية في المنطقة المحيطة لخدمة المصالح الإسرائيلية».[١]

هذا التصريح يوضح بجلاء الاتفاق على خطورة السنة والعرب على كلا المشروعين؛ لأنهم هم القوة الوحيدة المؤهلة للتصدي لكلا المشروعين.

وســـئل مدير عام إيروسباسيال (الشركة الفرنسية الوطنية للصناعات الجوفضائية) عن القوة المؤهلة للوقوف في وجه أمريكا؟

فأجاب: «إن العالم الإســـلامي هو القوة الوحيدة المؤهلة للوقوف في وجه الولايات المتحـــدة الأمريكية؛ لأنه يملك أيديولوجية تســـتطيع أن تقف فـــي وجه الفكر الغربي الأمريكي، ويملك كل مقومات القوة المادية».[٢]

وفي ذات السياق نشرت مؤسسة راند الأمريكية دراسة تدعو فيها إلى تقسيم العراق إلى ثـــلاث مناطق، واحدة في الجنوب حيث النفط، وأخرى في الشـــمال؛ حيث النفط كذلك، ودويلة فقيرة ومحرومة في الوســـط الســـني كعقوبة لهم على تحديهم للاحتلال الأمريكي.[٣]

(١) أمير ســـعيد، بدأت الملحمة.. فماذا عن (إســـرائيل الكبرى)؟ هكذا تحكم الرؤية التوراتية الحرب مع العراق، مجلة البيان، العدد ١٨٦، ١٤٢٤م، ص ٥٦.

(٢) جمـــال عبد الهادي ووفاء محمـــد، الطريق إلى بيت المقدس القضية الفلســـطينية، القاهرة،٢٠٠١م، هامش١، ص ٦٤٤.

(٣) همام محمد العزاوي، الاحتلال الأمريكي ومســـتقبل المسألة الكردية في العراق، شئون عربية، العدد ١٢٤، ٢٠٠٥م، ص ١٩٤.

فتصريح بن جورين يمثل وجهة نظر المخطط الإسـرائيلي، ورؤيته لمستقبل الصراع في المنطقة، وهي نفسها لدى الجانبين الصليبي والإيراني المتشيع.

والسبب هو تحدي العرب والسنة لمشاريعهم، هذا التحدي المتمثل في المنهج الذي عليه أهل السنة المستعصي على التطويع؛ لرغباتهم السياسية والدينية والثقافية، وثانيًا لأنه يتحرك على الأرض متجسدًا في صور عديدة للمقاومة.

ولعل السـلوك السياسي تجاه السـنة والعرب أوضح دليل على قوة مخططهم على المسـتويات التي ذكرناها، وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم هلع المشـروع الإيراني من خـلال التدابير التي اتخذتها إيران تجاه السـنة والعرب، ذكـر بعضها الدكتور محمد السعيد إدريس المتخصص في الشـأن الإيراني، فعدَّد تجاوزات الجمهورية الإسلامية ضد أهل السنة فيما يلي:[1]

١- منع أئمة المساجد من التعبير عن مذهبهم.

٢- القبض على عدد من العلماء.

٣- تجريح عقائد أهل السنة.

٤- عدم السماح لأهل السنة ببناء المساجد والمدارس في مناطق أكثريتها شيعية.

٥- حرمان أهل السنة من أنشطتهم الثقافية والاجتماعية والأخلاقية.

٦- سوء الوضع الاقتصادي لأهل السنة.

٧- سوء الوضع السياسي لأهل السنة.

٨- كما أنهم يسـتغلون المناسـبات الزمنية والمراسـم المذهبية الخاصة بهم مثل (أسـبوع الوحدة)، ويوم نجاح الانقلاب، وأيام الأعياد والمناسـبات الأخرى، ويجبرون أهل السـنة من الموظفين والعلماء والأعيان على المشـاركة معهم في هذه المناسبات والمراسـم بادعاء أن الشيعة والسنة متكافئون متعاونون، بينما اشتراك أهل السنة ليس إلا قهرًا وجبرًا، وتحت تهديد وتخويف.

وقد نشـرت رابطة أهل السـنة في إيران - مكتب لندن في مارس ١٩٩٨م- رسالة سرية موجهة من شورى الثورة الثقافية الإيرانية إلى المحافظين في الولايات الإيرانية،

(١) محمد السعيد، تأثير انتخاب نجاد على أهل السنة على أوضاع أهل السنة في المنطقة، مجلة البيان، التقرير السنوي، الإصدار الثالث، ١٤٢٧هـ، ص ٤٣٠، ٤٣١.

ومما جاء فيها: «إن الخطر الذي يواجهنا من الحكام الوهابيين والمتسننين أكبر بكثير من الخطر الذي يواجهنا من الشرق والغرب؛ لأن الوهابيين وأهل السنة يناهضون حركتنا، وهم الأعداء الأصليون لولاية الفقيه والأئمة المعصومين، حتى إنهم يعدون اعتماد المذهب الشيعي كمذهب رسمي دستورًا لإيران أمرًا مخالفًا للشرع والعرف، وهم بذلك قد شقوا الإسلام إلى فرعين متضادين».[1]

وفي خطبة جمعة ألقاها علي كريمي -أحد المرجعيات الشيعية في قم الإيرانية بعد سقوط بغداد ٢٠٠٣/٤/٩م، قال: «اليوم يا أهل الشيعة في العراق.. يا خاصة علي وفاطمة! بعد أن استُعيد ملككم المغتصب وحقكم المستلب عليكم أن توقفوا الزحف السني البكري العمري الأموي والوهابي إلى بغداد.. عليكم أن تنتهكوا أعراضهم مثلما انتهكوا أعراضكم.. كبيرهم كافر، وصغيرهم زانٍ».[2]

ولا يعني اتفاق المشروعين على العداء لأهل السنة أنهم متفقون في الأهداف النهائية، يقول الأستاذ مازن أبو بكر: «يعلم النظام الإيراني بأن المشروع الأمريكي وإن التقى مع المشروع الإيراني في وحدة العدو (أهل السنة) إلا أنهما لن يلتقيا في الأهداف النهائية».[3]

وتحدث الجنرال جون أبي زيد -قائد القوات الأمريكية في الشرق الأوسط- عن أهم نتائج الحرب الأمريكية على العراق معتبرًا أن «الاستراتيجية المنتصرة في العراق، وفي أنحاء العالم الإسلامي، هي عزل الطليعة السلفية عن المسلمين العاديين».

وسبب ذلك هو أن السلفية بالنسبة للصف الإسلامي هي خط الدفاع الأخير، أو بلفظ آخر هي آخر من يظل متمسكًا بالثوابت الإسلامية التي تحولت عند الغالبية إلى متغيرات، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

وتفيد كلمة «يُمَسِّكُونَ» أن التمسك بالدين أمر تنبغي ملازمته في جميع الأزمنة ليس للمصلحين فقط، بل ولغيرهم.[4]

(١) أمير سعيد، خريطة الشيعة، ص ١٢٣- ١٢٤.

(٢) إبراهيم العبيدي، المدن السنية العراقية والاستراتيجية الأمريكية، مجلة البيان، العدد ٢٢٤، ١٤٢٧م، ص ٧٣.

(٣) مازن أبو بكر، الفتنة الطائفية ومستقبل المنطقة، مجلة البيان، العدد ٢٣٠، ١٤٢٧هـ، ص ٦٨.

(٤) أحمد فهمي، لنكن صُرحاء.. السلفية خط الدفاع الأخير، مجلة البيان، العدد٢٢٨، ١٤٢٧هـ، ص ٧٦.

وعندمـــا دخل الاحتلال الصهيوني جنوب لبنان نثر الشـــيعة عليـــه الورود، ورحَّبوا به؛ لأنه سيخلصهم من الفصائل الفلســـطينية، وعندما وضعت الحرب الأهلية أوزارها في لبنان قام الجيش الســـوري بجمع الســـلاح من جميع الفصائل المقاومة دون تفرقة، وكان الهدف الرئيس هو تقليم أظفار الجماعة الإســـلامية اللبنانية، واكتملت اللعبة بأن ســـلم حزب الله أيضًا ما لديه من سلاح، ولكن لم يلبث الجيش السوري أن أعاد لحزب الله أســـلحته بعد أيام قليلة، ومنذ عام ١٩٨٢م ســـيطر حزب الله على الجبهة الجنوبية بإشـــراف الحرس الثوري الإيراني، ومنع أي مقاتل سنيّ من مجرد الاقتراب من الحدود مع فلسطين.[١]

فالورود للجيش الصهيوني، وتقليم الأظفار للجماعة الإســـلامية الســـنية في لبنان، وهدم المساجد وحرق المصاحف والتهجير القسري للسنة في العراق!!![٢]

ومن الأمور التي تفســـر لنا ســـبب عداء أمريكا لأهل السنة، واستغلالها للشيعة في العراق ضدهم: ما ذكره جورج فريدمان من أن: «خط الصدع في العالم الإســـلامي هو بين الســـنة والشيعة، فالسنة مجموعة أكبر عددًا من الشـــيعة، وانتهاجًا للاستراتيجية الأمريكية الكبرى يذهب المنطق إلى أن حل المشكلة هو بالدخول في تحالف من نوع ما مع الشيعة، ومفتاح الدخول إلى الشيعة هو الدولة الشيعية الكبرى إيران».[٣]

وتحدث الدكتور حامد عبد الماجد قويســـي -أســـتاذ العلوم السياســـية المشارك بجامعة لندن- عن رفض الســـنة للمشروع الأمريكي في المنطقة، واستعصاء أهل السنة والجماعة ومقاومتهم لهذا المشروع، وفشل أمريكا في القضاء على المشروع الإسلامي، فذكر كلام مرشال هودجسون عن استمرارية وجود الرؤية Vision للمشروع الإسلامي، ويعلل استمرارية هذا المشروع بسبب «العقيدة والثقافة الإسلامية».

ويتفـــق معه ألبرت حوراني في كتابـــه «الفكر العربي في عصر النهضة» قائلاً: «في قلـــب عملية التطور يقف التراث الحي لأهل الســـنة والجماعة... فالعقيدة تميز بين ما يمكن وما لا يمكن استيعابه في الإسلام».

(١) أحمد فهمي، لنكن صُرحاء.. السلفية خط الدفاع الأخير، مجلة البيان، العدد٢٢٨، ١٤٢٧هـ، ص ٧٨، ٧٩.
(٢) محمد عياش، حقيقة الدور الإيراني، ص ٧٠.
(٣) حسن الرشيدي، اللعبة الإيرانية، ص ٧٧.

ويؤكد الدكتور حامد قويسي أن فشل المشروع الاستعماري القديم المتجدد في تجزئة الأمة تعود أسبابه إلى:

١- مرجعية الأمة المتمثلة في القرآن والسنة.

٢- إنجازات الحضارة الإسلامية التي لا تزال مرجعًا لعموم الأمة.

٣- وجود بعض المنظمات التي ترمز إلى الوحدة الإسلامية كمنظمة المؤتمر الإسلامي[١]، والتي تريد إيران استبدالها بمنظمة المؤتمر الشيعي العالمي.[٢]

وإذا علمنا أن العقيدة الشيعية -كما تنص على ذلك كتب علمائهم ومراجعهم- تعتبر المسلم السني العدو الأول؛ فإننا نستطيع تفسير العداء الذي تكنّه إيران للمسلمين السنة، وللدول السنية، والتحالفات المشبوهة مع غير المسلمين من اليهود والنصارى والشيوعيين، وكذلك التحالف مع أتباع الفرق الباطنية.[٣]

الأقليات الشيعية ودورها في المشروع الإيراني:

أضحت مشكلة الأقليات والطوائف أداة من الأدوات التي تستخدمها القوى الكبرى وتوابعها في مجال السياسة الدولية، وبغطاء من القانون الدولي لتخريب الأمن القومي الإسلامي والعربي؛ ولهذا كان على الأمة أن تتحسس المشاريع التخريبية من بدايتها، وهذا لم يحدث للأسف؛ فدائمًا ما ندرك الخطر بعد زمن أو بعد فوات الآوان.

فلم تمثل يومًا ما الأقلية العرقية أو الدينية في تاريخ المسلمين وحضارتهم مشكلة، لكنها من المشكلات المفتعلة التي استحدثها الغرب؛ لاستخدامها في تأسيس مفهوم الصراع والتطاحن.. ولهذا يستخدم الغرب الأقليات كجزء من صراع شامل مع الإسلام. وكذا إيران تستخدم ورقة الأقليات في صراعها مع العالم الإسلامي (السني السلفي) لأهداف عديدة.. منها:

١- أن يكونوا رافعة سياسية تفاوضية مع القوى الصهيوصليبية، فقد استخدمتهم كميليشيات مقاتلة كما حدث في العراق وأفغانستان، ولبنان والحوثيين في اليمن، لخدمة

(١) حامد قويسي، الأبعاد الاستراتيجية لمقاومة الهيمنة الأمريكية، مجلة المنار الجديد، العدد ٢٦، ٢٠٠٤م، ص ٢٩، ٣٠.

(٢) عادل علي عبد الله، محركات السياسة، الحلقة الثانية، ص ٢٢.

(٣) الملامح العامة للسياسة الخارجية الإيرانية، مصدر سابق، ص ٣٣.

الهدف المتفق عليه بين كلا المشـــروعين، وهو القضاء على السنة والعرب ووحدتهم، أو ما تبقى لهم من صور الوحدة.

٢- اخترقت إيران الطوائف الشيعية في دول الجوار العربي والإقليمي، فتحولت تلك الطوائف بفعل ذلك الاختراق إلى طابور خامس، استطاعت إيران بواسطته زعزعة بعض الحكومات السنية في العالم العربي.

وإذا كان من مصلحة المشروع الصهيوصليبي عدم استقرار المنطقة وتعزيز استقلالها، فنفس الأمر لدى المشروع الشيعي بقيادة إيران؛ فالأقليات الشيعية تقوم بتوسيع النفوذ السياســـي الإيراني في المنطقة؛ لتمتلك مزيدًا من نقاط القوة في تفاوضها مع الغرب، كما أنها تساعد على خلخلة الأمن القومي والإقليمي للمنطقة، **إن الولايات المتحدة وإيران ترغبان في تفكيك المنطقة، وإعادة ترتيبها، كلّ بحسب مشروعه:**

«فالولايات المتحدة لا ترغب في اســـتقرار المنطقة؛ بحيث يعزز هذا الاستقرار من اســـتقلالها؛ ولهذا فهي لا تتورع عن إيجاد ملفات ملتهبة داخل كل كيان سياسي، لتكون بمثابـــة أوراق ضغط وتدخّل؛ لتظل هـــذه الكيانات بحاجة إلى ســـند خارجي في ظل مواجهتها الداخلية، وهو ما يعزز ارتهانها لهذا السند في قراراتها وخططها».[١]

وحتى تكون الصورة أكثر وضوحًا؛ فإن السياســـة الإيرانية لم تكن سياسة إسلامية، بل كانت ومازالت سياســـة فارســـية صفوية، غايتها أولاً وأخيرًا الحفاظ على المصالح الوطنية الإيرانية، فمدى إســـلامية الثورة في الداخل لا علاقة له بمدى عدائها لأمريكا في سياستها الخارجية.[٢]

فلم يختلف النظام الجمهوري الإســـلامي الإيراني عن النظام الإمبراطوري السابق زمن الشاه، فالخميني يؤكد أن الإسلام أو الأخوة الدينية لا يلعبان أي دور ذي أهمية في سياسة إيران الخارجية، فيقول: «إن لمصالح حكومتنا الأولوية فوق أي اعتبار إسلامي، بما في ذلك الصلاة والصيام والحج إلى مكة».

وعن دور الأقليات الشيعية يحدثنا صباح الموسوي -رئيس حزب النهضة الأحوازي،

(١) مجموعـــة من الباحثين، الحوثية في اليمن الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث، صنعاء بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٢٧٥.

(٢) رياض نجيب الريس، مصاحف وسيوف.. إيران من الشاهنشاهية إلى الخاتمية، ص ٤٧.

وهو شـــيعي إمامي- فيقول: «مع انتصار ثورة الشـــعوب الإيرانية ضد الحكم البهلوي، وقيام ما يسمى بنظام جمهوري إســـلامي، تبنى قادة هذا النظام مشروع تصدير الثورة لإسقاط الأنظمة السنية. ولهذا فقد تم إنشاء العديد من الأحزاب والحركات السياسية الشيعية في عدد من البلدان الإســـلامية؛ بغية خلخلة وضعها الأمني، وتهيأت الظروف لإسقاط أنظمتها وتحقيق حلم الشعوبية الهادف إلى إعادة الامبراطورية الفارسية تحت عباءة التشيع.

ومن أجل تحقيق هذا الحلم ســـخَّرت إيران وســـائلها الإعلامية الرسمية المختلفة، كإذاعة طهران، وقناة العالم الفضائية؛ لدعم المتمردين الحوثيين في صعدة، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.[1]

كما قام النظام الإيراني -بواسطة علي أكبر محتشمي- بتأسيس حزب الله اللبناني، والذي استمر شعاره من بداية تأسيسه عام ١٩٨٢م وحتى ١٩٩٢م هو «حزب الله.. الثورة الإســـلامية في لبنان»، وكذلك حذا حزب الله الحجاز بزعامة الســـيد هاشم الشخص حذو قرينه اللبناني ورفع شـــعار «تحرير الحرمين الشريفين»، وهكذا فعل كل من: حزب الله الكويت بزعامة الشـــيخ عباس بن نخي، ومنظمة الثورة الإسلامية لتحرير الجزيرة العربية بزعامة الشيخ حســـن الصفار، وجبهة الثورة الإسلامية بالبحرين بزعامة هادي المدرســـي، والمجلس الأعلى للثورة الإســـلامية في العراق بزعامة محمد باقر الحكيم، وحزب الوحدة الأفغاني بزعامة الشيخ علي مزاري، وحركة الفقه الجعفري في باكستان بزعامة ساجد نقوي... إلخ.

وجميع هذه الحركات تأسســـت بهدف إســـقاط الحكم السني في بلدانها؛ من خلال ممارســـة العمل المســـلح الذي هو جزء من منهج حركة الشعوبية التي سخرت العاطفة ومحبة آل البيت كأحد أهم عناصر خطابها السياسي؛ لحشد مؤيديها ضد سلطة الحكم الأموي والعباسي وصولاً إلى النظام العربي الحالي».[2]

ولـــم تكن التصريحات التي أدلى بها الرئيس المصري مبارك لقناة العربية الفضائية يوم ٢٠٠٦/٤/٨م، والتي تعرض فيها لولاء شـــيعة المنطقة لإيران، وانعكاسات ذلك على

(١) مجموعة من الباحثين، الحوثية في اليمن، ص ١٥٩.

(٢) صباح الموســـوي، ما بين الحركة الشـــعوبية والمدرسة الإسلامية الســـنية، جريدة إيلاف الإلكترونية، ٢٠٠٦/٤/٨م، http://www.elaph.com/ElaphWeb/ElaphWriter/2006/4/140505.htm

الوضع السياسي والأمني في منطقة الخليج والعراق، سوى تجسيد لمخاطر الاستقطاب الخارجي للطوائف العربية، وانعكاساته على الأمن القومي العربي.

فقد بدا واضحًا أن هناك مخاوف من استمرار صعود الدور الإقليمي الإيراني، مدعومًا بتأييد شعبي يستند بدوره على منطلقات دينية مذهبية؛ الأمر الذي من شأنه أن يهدد الأنظمة الحاكمة، في مقابل تزايد حدود التأثير الإيراني على سياسات الدول العربية، وبالتالي اختلال ميزان القوى الإقليمية لصالح طهران.

ويؤكد هذا التصور ما عبَّرت عنه تصريحات خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز يوم ٢٠٠٧/١/٢٧م، حول مخاطر التشيع وتطورات الأوضاع بالعراق على أمن المنطقة؛ إذ حذر من أن «استغلال الدين سوف يؤجج الصراع الطائفي»، مضيفًا «أن الرياض على علم بأبعاد عملية «التشييع» في العراق والمنطقة، لكن هذه العملية لن تحقق غرضها؛ لأن أكثرية المسلمين تعتنق مذهب أهل السنة والجماعة، ولا يمكن أن تتحول عن عقيدتها ومذهبها».[١]

وقد أكد ذلك أحد المسئولين في إحدى الدول الخليجية بقوله: «المشكلة الحالية التي تواجه الحكومات العربية تأتي من مصدر واحد هو: الشيعة».[٢]

فمن خلال الأقليات الشيعية الموجودة في العالم العربي والإسلامي تسعى إيران لبناء معارضة شيعية ملتزمة بتحالفات خارجية مع إيران داخل الدول الإسلامية، فليس عند الشيعة ولاء مزدوج؛ فولاءؤهم لإيران ولطائفتهم فقط، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا؛ فولاء شيعة العراق للقوى الصهيوصليبية وإيران فقط وليس للعراق ومصالحه، وإلا فأين مصلحة العراق من استدعاء شيعته للقوى الخارجية، ونهب ثرواته وسرقتها، والعمل تحت مظلة الاحتلال، وخدمة المصالح الإيرانية اقتصاديًّا وسياسيًّا؟! وأين مصلحة العراق من تسلل المخابرات الإيرانية إليه؟! ألم تكن لدعم الطائفية، وقتل سنة العراق، والتهجير القسري لهم؟! ألم تستأجر إيران ٢٧٠٠ شقة في مختلف أنحاء العراق؛ ليسكن فيها رجال المخابرات الإيرانية؟! وماذا يستفيد العراق من تدفق الأموال لمقتدى الصدر؟![٣]

(١) عمر الحسن، مخاطر التشيع، مرجع سابق.

(٢) محمد السعيد إدريس، ثلاثون عام على قيام الثورة الإيرانية في إيران، السياسة الدولية، العدد ١٧٦، ٢٠٠٩م، ص ١٨٥.

(٣) حسن الرشيدي، اللعبة الإيرانية، ص ٧٥.

وفي البحرين وبعد محاولة قتل أمير البلاد، ومحاولة الانقلاب عليه، وأعمال الشغب؛ قام شـــيعة البحرين باستدعاء القوى الخارجية على بلادهم، فتدخلت أمريكا وبريطانيا والســـفارة الإيرانية، ومعهم ٢٤٠ منظمة من منظمات حقوق الإنســـان لدعم شـــيعة البحرين [١]، فأين ولاؤهم لبلادهم؟!

ويذكر ريتشـــارد دكمجيان: «أن شيعة البحرين بسبب أصلهم الفارسي أحسوا بشيء مـــن الغربة في البحرين، وفي نفس الوقت آثروا الاقتراب من إيران، وقد حاول الخميني -خلافًا لجهود الشـــاه في ضم البحرين- أن يثوِّر الشـــيعة للقضاء على آل خليفة، وكانت «الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين» هي الأداة الرئيسة في ذلك، وهي جبهة شيعية.

وقـــد نقل خالد العزي في كتابه: «الخليج العربـــي في ماضيه وحاضره» نداءً وجّهته صحيفة السياســـة الكويتية في ١٩٧١/١٢/٥م إلى شعوب وحكومات الدول العربية إلى اتخاذ كافة الســـبل لردع خطر التســـلل الإيراني إلى الأراضي العربية، وقالت الصحيفة بأن المتســـللين يشكلون طابورًا خامسًا، لا ينبغي التقليل من خطره، خاصة بعد احتلال الجزر العربية (الإماراتية)، ووصفت الصحيفة خطر التسلل الإيراني بأنه لا يقل خطورة عن التسلل الصهيوني الذي يعتبر أحد أسباب ضياع فلسطين واغتصابها.[٢]

وهذا ما يؤكده أوليفين روا -مؤلف كتاب الإسلام السياسي- من أن الأقليات الشيعية تمثل طابورًا خامسًـــا اســـتطاعت إيران بواســـطته أن تلتف على القومية العربية، وأن تحاول زعزعة الحكومات السنية المحافظة في العالم العربي ... ويقول في موضع آخر: أصبحت إيران بفضل الثورة الإسلامية فيها تتصرف كقوة إقليمية، وعبر محاور شديدة الشبه بتلك التي كان يعتمدها الشاه السابق.

ويقول الأستاذ مازن أبوبكر: «وبعد أن دخلت إيران المنطقة تحت الوصاية الأمريكية فـــي أعقاب حرب الخليج الثانية، دأبت من حينها على العمل السياســـي عن طريق دعم الكتل السياسية الشـــيعية في البلاد المجاورة، وعلى رأسها العراق.. كما ازداد النشاط التشييعي كداعم مهم للتحركات السياسية الإيرانية في المنطقة، وأوضح مثال على ذلك (حركة بدر الدين الحوثي) في اليمن، التي انتهت بمواجهات في جبال مران مع الحكومة

(١) عمر الحسن، مخاطر التشيع، مرجع سابق.

(٢) التجمعات الشيعية في العالم العربي، البحرين، مجلة الراصد، العدد ٣، ١٤٢٤هـ، ص ٧٥، ٧٨.

اليمنية. وقد تركز النشاط في دول بلاد الشام لوجود تجمعات شيعية قادرة على تحقيق مكاسب سياسية».[١]

وأخيـــرًا فإن حزب الله، الذي صدح الإعلام مغـــردًا بانتصاراته، ها هو يصك وجوه المخدوعين والبلهاء «بأنه لا يقاتل من أجل الســـجناء، ولا من أجل مزارع شبعا، أو حتى القضايا العربية؛ بل من أجل إيران في صراعها مع أمريكا».[٢]

وهذا هو المحور الأول لاستخدام الشيعة في العالم الإسلامي لصالح المشروع الإيراني.

وأما المحور الثاني فهو اســـتخدام هذه الورقة لتحســـين الوضع التفاوضي لإيران مع القوى الصهيوصليبية؛ فهي «ورقة سياســـية في ســـوق المســـاومات على الساحة الدولية».[٣]

إن إيران تلعب في ســـاحة الآخرين وبدمائهم، وتســـتغل أزماتهم. وحتى لا يتم عزلها اســـتراتيجيًا، وبسبب خوفها من حدوث أي تســـوية سياسية بين العرب وإسرائيل بعيدًا عنها تســـتخدم ورقة الأقليات باعتبارها: داعمًا مهمًا للتحركات السياسية الإيرانية على الساحة الخارجية.

كما أنها خطوة لإنشاء الإمبراطورية الفارسية المتشيعة[٤]؛ فإن الساسة الإيرانيين، يســـتخدمون بروتوكول «فوبيا» نشر المذهب الشيعي بين العرب «السنة» كستار يشغلهم عن الهدف السياسي الذي وضعه الخميني في مشروعه.[٥]

وهناك احتمال تنفيذ صفقة بين إيران والقوى الصهيوصليبية على حســـاب المنطقة تضمن إيـــران من خلالها تدفق البتـــرول؛ بحيث تصبح هي الحـــارس لمصالح القوى الصهيوصليبية، والوكيل عنها.[٦]

وينقل الأستاذ أمير سعيد عن مجلة الوطن العربي٢٠٠٨/٦/١١م تحت عنوان «الهلال الشـــيعي يعرض السلام على إسرائيل» ما نصه: «فيما كانت الأوضاع مشتعلة في بيروت

(١) مازن أبو بكر، الفتنة الطائفية ومستقبل المنطقة، مجلة البيان، العدد ٢٣٠، ١٤٢٧هـ، ص ٦٧.
(٢) وليد نور، حرب لبنان الوعد الصادق أم الوهم الكاذب؟ مركز النور للدراسات الإنسانية، ٢٠٠٧م، ص ١١١.
(٣) حسن الرشيدي، اللعبة الإيرانية، ص ٧٥.
(٤) مازن أبو بكر، الفتنة الطائفية ومستقبل المنطقة، مجلة البيان، العدد ٢٣٠، ١٤٢٧هـ، ص ٦٨.
(٥) علاء الدين حمدي، بروتوكولات، مرجع سابق.
(٦) المرجع السابق.

٩ و١٠ مايو ٢٠٠٨م تسلم بان كي مون رسالة رسمية من طهران تضمنت عرضًا إيرانيًّا لاستئناف المفاوضات.. وأجمع الخبراء الذين اطلعوا على هذه الرسالة أنها دعوة إيرانية واضحة للتسوية بما فيها السلام مع إسرائيل، واقتراح للضغط على حماس والجهاد لقبولها».[١]

وقال الأستاذ علاء الدين حمدي: «هناك تنافس أمريكي إيراني سيعقبه اتفاق تعاوني يمسك ويتحكم بلجام عدو مشترك، ألا وهو العرب عمومًا -سنة وشيعة-...».[٢]

وهذا يوضح لنا أن الشيعة العرب هم مجرد ورقة بيد إيران ستلقي بهم عند أول مغانم الصفقة المنتظرة، فتصريحات أوباما التي حاول أن يطمئن من خلالها مصر والسعودية بعدم خطورة الصفقة على المنطقة، تؤكد على احتمال سريان الصفقة، سواء أكانت خطوة تكتيكية في إطار الاحتواء المزدوج، كمبدأ تستخدمه السياسة الأمريكية، أو كصفقة حقيقية بين الطرفين على حساب المنطقة.

وفي خلفية هذا المشهد السياسي يمكننا أن نفهم لماذا لم تنتفض القوى الصهيوصليبية ضد إيران لاحتلالها الجزر الإماراتية، رغم الأهمية الاستراتيجية لها، وتهديدها للملاحة في الخليج، ولماذا لم تدفع هذه القوى البحرين للمطالبة بها على غرار ما فعلت مع الكويت؟!

وفي هذا السياق أيضًا لماذا لم تتحرك إيران لحماية سوريا عندما تم الاعتداء عليها من قبل القوى الصهيوصليبية؟! فقد سبق وتعرضت سوريا لضربتين جويتين: الأولى غارة للطيران الإسرائيلي على سوريا. والثانية غارة أمريكية على عمال البناء على الحدود السورية مع العراق، مع وجود اتفاقية دفاع مشترك بين إيران وسوريا وُقِّعت بتاريخ ٢٠٠٦/٦/١٥م.

ولكن السؤال المطروح الآن هو: ضد مَن هذا التحالف العسكري بينهما؟! أليس سرقة إيران لسوريا هو خصم من الأمن القومي الإسلامي والعربي لصالح إيران.. والغريب أن القوى الصهيوصليبية لم تعترض على هذه الاتفاقية، ولم تبدِ أي قلق حيالها، فإيران تقدر أمنها القومي؛ فهذا أحمدي نجاد يهدد أمير قطر بأسلوب حاد: «اسمع يا شيخ

(١) أمير سعيد، خريطة الشيعة، ص ١٠٠.

(٢) علاء الدين حمدي، بروتوكولات، مرجع سابق .

حمد! عليك أن تعرف أن أول صاروخ ستطلقه إيران في حال تعرضها لهجوم أمريكي، سيكون من نصيب قطر؛ لأنها أصبحت قاعدة أمريكية في الخاصرة الإيرانية».[1]

فإيران تعتبر أن أمنها القومي في خطر لوجود قواعد أمريكية في الخليج، فماذا نقول عن أمننا القومي الذي تحاصره إيران في العراق ولبنان وسوريا، وبالأقليات الشيعية هنا وهناك.

وقال الدكتور حامد ربيع: «من المعلوم أن من يضع قدمه في الإسكندرونة (سوريا) يستطيع أن يصل وبسهولة إلى الإسكندرية».[2]

ومما لا شك فيها أن العداء للسنة هو الذي جعل إيران تقوم بخذلان المسلمين في قضاياهم المصيرية، كما برز ذلك في فلسطين والشيشان وأفغانستان وكشمير..، وتقوم عوضًا عن ذلك بإقامة علاقات سياسية وعسكرية واقتصادية متميزة مع الدول التي تحارب الإسلام، وتضطهد المسلمين، كما هو حال علاقات إيران مع روسيا والهند.[3]

كل هذا ينسجم مع تاريخ خيانة الشيعة للأمة عبر التاريخ، فمن الأمور التي ساعدت هذه الأقليات الشيعية وغيرها على أن ترتكب تلك الجرائم الخطيرة ما ترسخ عندها من المفاهيم الاجتماعية للشخصية العربية السنية، وتكوينها النفسي المتسامح، الذي افتقرت إليه هذه الأقليات.. فضلاً عن عدم إضافة هذه الأقليات لبنة واحدة في صرح الحضارة العربية السنية؛ فلم يكن لهم شرف إيصال مشعل الرسالة إلى شبر مربع واحد من المعمورة التي يُرفع فيها اسم الله اليوم، أو أضاف شبرًا مربعًا إلى رقعة العالم الإسلامي، فضلاً عن أن يحرر شبرًا مغتصبًا، بل كان عونًا لكل معتدٍّ..

وفي مصر وخلال حقبة المد القومي صدرت فتوى تجيز للمسلم التعبد بالمذهب الجعفري الذي يسفِّه حرمات الإسلام، وعظماء التاريخ العربي والإسلامي.

لكن الأقلية الشيعية أصرت على تمزيق الكساء ورميه في أول فرصة، وعلى كشف السوءات، وعلى رقصة التعري مع أول قدم أمريكية تطأ تراب الوطن، ومزقته قبلها الأقلية النصيرية في بلاد الشام مع مجيء الثورة الإيرانية التي تحالفت معها ضد عرب

(١) عبد العزيز كامل، أزمة الخليج الرابعة، العالم ونوايا إيران النووية، مجلة البيان، العدد ٢٢٨، ١٤٢٧هـ، ص ٦٣.

(٢) حامد ربيع، قراءة في فكر علماء الاستراتيجية.. إدارة الصراع العربي- الإسرائيلي، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٩م ص ٤١.

(٣) الملامح العامة للسياسة الخارجية الإيرانية، ص ٣٣.

العـــراق، ومزقته على أرض لبنان العربي بإعلان تبعيتها لولاية الفقيه، وإطلاق أســـماء قادة مجوس على مؤسستها.

كل ما سبق يقودنا إلى استنتاج ما يلي:

١- كشف تفاقم المد الطائفي عن ثغرات خطيرة في مفاهيم الدولة العربية الحديثة، عبر منها المشـــروع الشعوبي، ومنها: مفهوم المواطنة، وعزل المؤسسة الدينية عن آليات الأمن الاســـتراتيجي والقومي. والتقريب بين المذاهب. والمفهوم الأيديولوجي للأقلية والأغلبية، الذي لا يقتصر بالضرورة على المفهوم العددي من مفاهيم الحضارات.

٢- للأقليات حقوق صانها مجتمع الحضـــارة العربية، هذه حقيقة. والحقيقة الأخرى هي أن ضيق ثقافة الأقلية لا يضعها في مقام بناء وإدامة وإدارة مجتمعات تتســـع للآخر، ويدفعها إلى تقسيم المجتمع على أساس الطائفة والعرق في أول وهلة تؤول إليها الأمور.

فالمطَّلع على مطالب الطائفة الشيعية المقدمة إلى ولي عهد المملكة العربية السعودية -بحســـب ما يذكر الدكتور سفر الحوالي- يستطيع أن يرى فيها محاولة الأقلية للتحكم في عقائد الأمة كلها (الأكثرية)، بـــل والمطالبة بالحرية إلى حد تجاوز حرية الآخرين، وهو عدوان يجب رفضه. وهذا يذكِّر بموقف المعتزلة عندما قالوا بخلق القرآن، وأرادت أن تفرضـــه علـــى الأمة، ومثل بعض الـــدول الإفريقية التي يحكمهـــا النصارى، مع أن المسلمين فيها يمثلون ما نسبته ٩٥٪ أو أكثر.

إن مطالبة أي طائفة بحرية العبادة شـــيء، ومطالبتها بالتحكم في عقائد الأمة كلها شـــيء مختلف تمامًا، ثم ضرب الدكتور سفر الحوالي مثلاً بطائفة المورمن في أمريكا، وشـــهود يهوه في الدول الكاثوليكية، فلم يُسمح لهم بطباعة منشوراتهم المخالفة لعقيدة الأغلبية، ولم يحـــاول المورمن التخلص من القوانين الفيدرالية باســـم حرية المعتقد، ولم يســـتطيعوا أن يمنعوا الأمريكيين من أن يتحدثوا عن عقيدتهم، أو أن يكتبوا ضدها في الكنائس، والمناهج الدراســـية، والإعلام.[1] مع أن هذه هي بلاد الحرية.. وهي التي تتدخل في شئون دول العالم باسم الحريات الدينية.

(١) سفر بن عبدالرحمن الحوالي، الأقلية حين تتحكم في الأكثرية، موقع المسلم، ١٤٢٤/٤/٢٩هـ. http//almoslim.net/node/81993#

أما بالنسبة لإيران والشيعة فأين حرية أهل السنة؟! وقد مُورِست ضدهم كل أنواع الاضطهاد من الإعدام إلى الاغتيالات السياسية، إلى الاعتقال السياسي بسبب المعتقد، والقبض على عدد من العلماء مثل الشيخ أحمد مفتي زاده، وقد شهد عام ١٩٩٦م اغتيال عشرة من خيرة علماء السنة وأكابرهم، مثل الشيخ صالح ضيائي الذي قُطِّع إربًا.[١]

ونتسأل مع الأستاذ ربيع الحافظ: «كيف لا تخصص الدولة -الأمة- لمشروع بهذه القوة التدميرية أكاديميات ومعاهد استراتيجية، أسوة بالدراسات العبرية؟ وكيف يصنَّف تحت عناوين مبسطة كاختلاف المذاهب الإسلامية؟ ولماذا احتاجت الدول العربية خمس سنوات كاملة بعد استباحة شعب عربي كالعراق ومسلم كأفغانستان، قبل أن تكتشف حقيقة الأمر؟[٢]

ولست أدري على أيّ أنغام المأساة تجري محاولات التقريب، وبأي كأس تُشرب دماء أهل السنة على مائدة الحوار بكأس الشيعة، الذي ما برح يلغ فيها منذ الدولة الصفوية وقبلها وللآن، أم بكأس القائلين بالتقريب المتساهلين في حق هذه الدماء، والأخطر تسببهم في التباس العقيدة عند عوام المسلمين، فهي المصيبة الأكبر التي يعبر التشيع من خلالها ليحقق باقي أهدافه.

ورغم هذا كله، ففي حقبة المد الطائفي الذي بدأ مع الثورة الإيرانية، برز دور المؤسسة الخيرية -القطاع الثالث، وغالبها مؤسسات إسلامية غير رسمية- في الدفاع عن الأمن القومي، وحماية عقيدة الأمة ومنهجها، والتوعية الجماهيرية، ولكن هذا الدور عفوي الطابع، ومذبذب العلاقة مع الدولة.

وفي النهاية.. إن الأزمات محطات مهمة في تاريخ الشعوب لا تفوَّت، فيها تُراجع القناعات، وتُصنع المعجزات، وفيها يُعاد رسم الشخصية الجماعية للمجتمع، وهي فرص نادرة الحدوث.[٣]

(١) راجع ما ذكرناه من قبل عن جرائم الأقليات الشيعية في العالم الإسلامي، وانظر الجدول الذي في آخر الدراسة.

(٢) الدولة العربية الحديثة.. استدراك الثغرة الطائفية، مجلة المنار الجديد، العدد ٤٤، ٢٠٠٨م، ص ٤، ٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٦- ٨.

الفصل الثالث
تقييم تجربة القائلين بالتقريب

ونحن بصـــدد تقييم تجربة القائلين بالتقريب يعنينـــا إلقاء الضوء على الإرهاصات الأولى كمقدمات تاريخية لصورة التقريب التي حدثت؛ وذلك للخروج ببعض الملاحظات المهمة بهذا الصدد.

إن الدعوة للتقريب جاءت من قِبل الشيعة، وهذه دلالة مهمة لأسباب كثيرة .. **منها**:

١- أن هنـــاك جهة مركزية تخطِّط وترســـل الدعاة الروافـــض للجهة التي تريد في عالمنا الإسلامي.

٢- الشـــعار المطروح، وهو التقريب، والمقصود به حقيقة التشيع، بمعنى تشييع أهل السنة، لا تسنين الشيعة، وهو ما أسفرت عنه كل محاولات التقريب حتى الآن.

٣- أنهـــا تركِّز على الكتلة الجغرافية الحية والديناميكية في العالم الإســـلامي وهي الكتلة العربية، وبصفة خاصة مصر والســـعودية، وباقي شبه الجزيرة، والشام، والشمال الإفريقي، والســـبب أن هذه الأماكن تمثل أماكن جيواســـتراتيجية وعسكرية حيوية، وبها جماعات شيعية وجماعات بربرية -كالموجودة في الشمال الإفريقي- اعتمد عليها التشيع في السابق كعناصر مضادة للعرب، لكن هذا لا يعني أن البربر كلهم قابلون للتشيع».[1]

لكن هناك ســـابقة تاريخية تجعلنا ننتبه للمدخـــل والأرضية التي يعمل من خلالها التشـــيع، وهو لا يعمل في أجواء صحية، بل في أوقات الأزمات للأمة عبر التاريخ، فإما أن تكون الأمة في مواجهة خطر خارجي كاسح كالتتار والصليبيين، أو كما هو الحال الآن في ظل هيمنة القوى الصهيوصليبية.

أولاً المحاولات الفردية:

لم تكن محاولة محمد تقي القمي هي المحاولة الأولى لهذه الخدعة المسماة التقريب، فقد ســـبقه آخرون، فهناك بعض دعاة التقريب مثل: أبي عبد الله الزنجاني الذي أُرسل

(١) محمود علي مكي، التشيع في الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٤هـ، ص ٩.

إلى مصر في الفترة ما بين (١٣٥٣-١٣٥٤هـ)، ولم يحقق نجاحًا يُذكَر؛ فأرسلت إيران بعده عبد الكريم الزنجاني، وبعدها تتابعت الرسل مثل القمي وغيره.

وقد طلب شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين والشيخ محب الدين الخطيب من أبي عبد الزنجاني أن تكفّ الشيعة عن سبّ الصحابة؛ حتى يتحقق التآلف والتعاون فبشَّرهما بخير.. ولم يفعل شيئًا.. وفهمنا بعد سفره أن الحكومة الإيرانية هي التي أوفدته إلى الأقطار العربية.. ولماذا أوفدته إيران؟ يجيب الشيخان الخضر والخطيب: لغير المعاني التي كنا نتمنى تفاهُم الفريقين عليها، وتعاونهما على تحقيقها، ونفس الشيء يذكره الشيخ محب الدين الخطيب على الزنجاني الثاني.[١]

فإيران والتي تعتبر الجهة المركزية للتشيع لم ولن تكفّ عن هذه الخدع؛ فهذا جمال الدين الأفغاني-الإيراني حقيقةً والماسوني توجهًا- جاء إلى العالم الإسلامي بحجة الإصلاح، وأُضفِيَ عليه صفة الزعيم المصلح، وكان الحقيق به اسم المفسد، والذي ذكر عنه ذلك ابن أخته ميرزا لطف الله خان، بل بلغت وقاحة الأفغاني أن أنشأ محفلاً ماسونيًا في فرنسا؛ فهناك علاقة تلازمية بين الشيعة والصليبية والصهيونية في الأصول.. وغير ذلك من العقائد الضالة المنحرفة.[٢]

ثانيًا المحاولات الجماعية:

١- جماعة الأخوة الإسلامية:

كانت هناك محاولات للرافضي محمد حسين الأعظمي لتأسيس جماعة أطلق عليها جماعة الأخوة الإسلامية، ويلخص لنا محمود الملاح فكرة هذه الجماعة وأثرها، فيقول: «محمد حسين الأعظمي من أعظم كره الهندية، وليس من الأعظمية في بغداد.. وتورط في دعوته كثير من الفضلاء، أخجل من ذكر أسمائهم؛ فيا لضيعة الحقائق! وكان مكانها قبة الغوري بمصر، وكان من خدعته أنه اشترط على المشتركين في جماعته أن يكونوا من أتباع المذاهب التي لا تخالف نص الكتاب وصحيح السنة وإجماع الأمة، واستطاع أن ينشر عدة كتب شيعية، منها الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية، والاثنى عشرية،

(١) الدكتور ناصر القفاري، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ج٢، ص ١٦٧، ١٧٧.

(٢) محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ط٩، الرسالة، السعودية، ١٤١٣هـ، ص ٦٧ ؛ وللمزيد عن الأفغاني انظر نفس المرجع، ص ٦٧-١١٢.

وكتاب تأويل الدعائم، وافتتاح الدعوة للقاضي الفاطمي النعماني..».[1]

٢- دار الإنصاف:

ظهرت عام ١٣٦٦هـ، ومن أعضائها: هاشـــم الدفتردار، ومحمد الزغبي، ومن كتبهم التي أصدروها من أجل التقريب كتاب الإسلام بين السنة والشيعة في جزئين، وقد بنوه علـــى أصل خاطئ، وهو أن الروافض الذين كانـــوا يكرهون الصحابة هم مجرد فئة قد اندرست، أما الشيعة الآن فيحبون الشيخين، ويترضَّوْن على الصحابة».[2]

٣- دار التقريب بين المذاهب الإسلامية:

حمل مســـئولية الدعوة لها محمد تقي القمي من شـــيوخ الرافضـــة من قم بإيران، وفي هذا إشـــارة إلى إيران هي الجهة المرســـلة له ولغيره، وثانيًا أنه جاء ليكمل مهمة المحاولات الســـابقة، وقد أصدرت الدار مجلة باســـم رسالة الإسلام؛ لخدمة غرضها، وكان أحد المشاركين فيها الشيخ عبد اللطيف السبكي من كبار علماء الأزهر.

وقد ذكر الســـبكي أنه جاءته رســـالة من النجف -مركز الشيعة- يطلب مرسلها منه كلمةً تُلقى هناك في الذكرى الموســـمية للإمام الحسين -رضي الله عنه-، كما طلب أن يسمح الأزهر بتدريس الفقه الشيعي بجانب مذاهب أهل السنة.

وهنا تكشـــف جماعة التقريب الشـــيعية عن هدفها الأول: وهـــو أن يعترف الأزهر بالبدع الحســـينية، وما يحملـــه ذلك من الاعتراف بكل ما تقولـــه الروافض من مظالم وفق رواياتها لا وفق الحقيقة التاريخية. ومثل هذا الحضور الرمزي للأزهر تســـتغله آلة الإعلام الشيعي في تضليل جماهيرها في المقام الأول، وأهل السنة – أو النواصب كما يسمونهم- في المقام الثاني.

وثانيًـــا: أن يتم تدريس المذهب الشـــيعي بالأزهر، والجاهـــل هو من يظن أن الفقه الشيعي منفصل عن عقيدة الرفض بحال.[3]

وكلام القمي يشـــهد بذلك؛ فيقول: «فماذا عليهم لو اســـتقبلوا مـــا وراء الفقه كما

(١) الدكتور ناصر القفاري، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ج٢، ص ١٧١، ١٧٢.
(٢) المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٢، ١٧٣.
(٣) المرجع السابق، ج٢، ١٧٣- ١٧٥.

استقبلوا الفقه، وما الفرق بين الفروع العملية والفروع العلمية».[١]

وبعد فترة توقفت الاجتماعات، واستمرت المجلة -المسماة رسالة الإسلام- وقد صدر منها ستون عددًا في ستة عشر مجلدًا في الفترة من ١٣٦٨-١٣٩٢هـ.

وقد اعترف أحد شيوخ الرفض أحمد مغنية في كتابه «الخميني أقواله وأفعاله» بأن إنشاء الدار كان باتفاق سابق مع القيادة الشيعية.[٢] وهذا يؤكد ما أشرت إليه من وجود جهة مركزية لديها خطة.

وكان شعار القمي ودار التقريب بين المذاهب الإسلامية: «أن دعوتنا هي أن يتحد أهل الإسلام على أصول الإسلام التي لا يكون المسلم مسلمًا إلا بها، وأن ينظروا فيما وراء ذلك نظرة من لا يبتغي الفلَج والغلَب، ولكن يبتغي الحق والمعرفة الصحيحة.. فإن الخلاف على غير أصول الدين لا يضرّ بالإيمان، ولا يُخرج المختلفين عن دائرة الإسلام».[٣]

ولنا أن نتسائل ونتأمل في معنى ذلك الاتحاد، ثم أي أصول الدين تلك التي نتفق عليها؟!

أما القرآن فقد قلتم بالتحريف في النص، وفي التفسير معًا، وأما الصحابة فقد كفَّرتموهم، ما عدا ثلاثة أو أربعة، والسُّنّة لا تؤخذ إلا من المعصومين من أئمة الشيعة، فأين أصول الدين التي نتحد عليها؟!

ثم بعدها بقليل يذكر ما يكشف عن المزيد من خبثه بقوله: «ليس من غايتنا أن يترك السنّي مذهبه، أو الشيعي مذهبه، وإنما نريد أن يتحد الجميع حول الأصول المتفق عليها».[٤] هؤلاء لا يحترمون عقولهم، ويريدوننا بعقول مغيبة، أو بلا عقول.

ومن الأدلة الأخرى التي تكشف عن خبثهم وسوء قصدهم أن أهل السنة المشتركين في عملية التقريب طلبوا من الروافض التوقف عن سبّ الصحابة فلم يستجيبوا!!

وطالب الرافضي محمد صالح الحائري دار التقريب وعلماء السنة: «بأن يرجعوا في دينهم إلى مصادر الشيعة الثمانية، وبأن ينصب كرسي لتدريس فقه الروافض في مصر، وآخر لتدريس عقائدهم، وأن يؤمن السنة بمسألة الإمامة عند الشيعة».[٥]

(١) الدكتور ناصر القفاري، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ج٢، ص ١٨٠

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٣.

(٣) المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٥) المرجع السابق، ص ١٧٩.

والســـؤال ماذا بقي لأهل السنة وعقيدتهم، وهم يريدون تذويبها تحت شعار الوحدة والاتحاد والتقريب كوســـيط كميائي لهذه التفاعلات غير المتجانسة لتخرج في النهاية صورة جديدة يريدها الروافض لأهل السنة.

موقف الشيخ شلتوت من هذه الدعوة:

وضع الشيخ شـــلتوت مشروعًا يجعل للروافض نصيبًا مقســـومًا من الفقه وأصوله وتاريخه، وفي مصطلح الحديث ورجاله، وفي دراســـة أمهات الكتب وأصحابها الثقات. لكن تصدى لهذه المحاولة بعض شـــيوخ الأزهر، كما ذكر ذلك الشيخ حسنين مخلوف[1]، مع العلم أن الشـــيخ شلتوت وضع ضوابط لم يلتزم بها الشيعة وتجاهلوها وأفرغوها من مضمونها.

ونشر الشيعة خلال هذه الفترة بين أهل السنة عدة كتب من كتب الروافض مثل:

١- المختصـــر النافع: لنجم الدين الحلي (ت ٦٧٦هـ). وقـــد طُبع هذا الكتاب مرارًا في مصر.

٢- تذكرة الفقهاء: للحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ).

٣- وسائل الشيعة ومســـتدركها، والوسائل: لمحمد بن علي بن حسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ). والمســـتدرك: لشيخهم حســـين النوري الطبرسي صاحب كتاب «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب».

٤- الحج علـــى المذاهب الخمســـة: (أي الحنفي والمالكي والشـــافعي والحنبلي والجعفري).

٥- تفسير مجمع البيان: للطبرسي (ت ٥٤٨هـ).

٦- حديث الثقلين، لمؤلفه المعاصر محمد قوام الدين القمي.[2]

فكســـبوا بذلك فتوى الشيخ شلتوت بجواز التعبد بمذهبهم، وطباعة عدة كتب تنشر التشيع، وفرحوا بما حققوه من ذلك فرحًا كبيرًا.

لكن وبعد أن اكتُشـــفت حقيقة هذه الدار المسماة دار التقريب خرج منها كل من دعا

(١) الدكتور ناصر القفاري، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ص ١٨٩، ١٨٠.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص ١٨٠، ١٨١.

إليها من السنة، مثل الشيخ السبكي، ومحمد عرفة، والساكت والشيخ محمد رشيد رضا، رحم الله الجميع.

وقال الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله: «انفض المسلمون جميعًا من حول دار التخريب التي كانت تسمى دار التقريب، ومضى عليها زمن طويل والرياح تصفر في غرفها الخالية تنعى من استأجرها».[1]

ولكن لم ييأس الشيعة؛ فأنشأوا جمعية أهل البيت، وهي مازالت قائمة بزعامة الرافضي محمد الدريني.

هذا وقد قامت حجة الرافضين للتقريب على أسس كثيرة .. منها:

١- تمسك المحاورين الشيعة بعقيدتهم المخالفة لعقيدة أهل السنة.

٢- وأن التقريب حقَّق مكاسب سياسية ودينية لدعاة التقريب على حساب السنة.

أولاً: معتقدات الشيعة الداعين للحوار والمشاركين فيه:

يعرض لبعضها الدكتور ناصر القفاري بداية من تحريف القرآن، وردّ السنة وجحدها، وقولهم بعصمة أئمتهم والغيبة، والتقية، وباقي ما ذكرناه من معتقداتهم، والتي يكررها دعاة التقريب من الشيعة، ومنهم على سبيل المثال:

«عبد الحسين الأميني النجفي، ولطف الله الصافي، وأغا بزرك الطهراني، ومحمد حسين آل الكاشف الغطاء، ومحسن الأمين، والخنيزي، وكاظم الكفائي، ومحمد رضا مظفري، ومحمد الخالصي، وعبد الله الممقاني، ومحيي الدين الممقاني، ومحمد جواد مغنية، وعبد الجواد آل طعمة، وشهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، وحسين الخرساني، وعبد الحسين شرف الدين الموسوي».[2]

(١) المرجع السابق، ج٢، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٢) عن معتقداتهم من كتبهم انظر الدكتور ناصر القفاري، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ج٢، ص ٤٧-٥١، ٥٣، ٥٩، ٦٢-٦٤، ٦٩-٧٣، ٧٥-٧٧، ٧٩، ٨٩-٩٢، ٩٩-١٠١، ١١١-١١٣، ١١٦-١١٨، ١٢١، ١٣١، ١٣٧، ١٤٠، ٢١٠-٢١٢، فمازال من يقول بالتقريب كالدكتور سليم العوا، والدكتور جمال نصار وآخرين، وكان الشيخ الغزالي يدافع عن الشيعة، ويقول: ليس لديهم قرآن غير قرآن المسلمين، ورد عليه الدكتور علي إمام عبيد، مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بطنطا، في كتابه حقيقة الفكر الشيعي وعوامل انتشاره (تحليل ونصوص)، الدار الإسلامية، المنصورة، ١٤٢٩هـ، ص ٤٩، ٥٠.

فـــإذا كانت هذه عقيدة الداعين للحوار، وقولهم بهذه الأقوال، فما بقي مجال للحوار أصلاً؛ فإذا اســـتدل المحاور بالقرآن، قالوا: بأنه محرف، وفى أحســـن الأحوال تأولوه تأويلاً باطنيًّا بعيدًا تمامًا عما نقله الصحابة -رضي الله عنهم- عن رســـول الله -صلى الله عليه وســـلم-، والســـنة لا يُؤخذ بها؛ لأن الصحابة عندهـــم مرتدون، فكيف يمكن الاقتراب بيننا وبينهم، اللهم إلا إذا كان المراد تقريب السنة للشيعة،.

والغرض هنا فقط أن نشير لعدم وجود أساس شرعي، ولا حتى عقلي يمكن أن نتفق عليه؛ فأين العقل من القول بالعصمة، وتناسخ الأرواح؟! وما قالوه كذبًا عن رسول الله- صلى الله عليه وســـلم- والصحابة الكرام، بـــل أين العقل من عقيدة البدء، وهي أن الله يبدو له شـــيء لم يكن يعلمه -عياذًا باللـــه تعالى- إلى آخر ما في عقيدة الروافض مما يتناقض مع عقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد اتضح فســـاد عقيدة دعاة التقريب من الطرف الشـــيعي، ولم يثبت أنهم تخلوا عنها؛ فكان الأولى تصحيح عقيدتهم. فهم كما قال أبو حامد الغزالي عن مذهبهم: «إنه مذهب ظاهره الرفـــض، وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم».[1]

وقـــد تبين من خـــلال آراء دعاة التقريب مـــن الروافض أنهم لم يغيِّروا شـــيئًا من عقائدهم الشـــاذة، وأنهم إما مجاهرون بها أو مســـتخفون يخدعون ويتقون.. وأنهم لم يتقدموا خطوة واحدة في مســـألة التقريب، فلم يخرسوا ألسنتهم وأقلامهم التي تنهش في أعراض الصحابة ودينهم، والتي تطعن في القرآن والســـنة والأمة، بل إن دينهم قام على أسس مضادة للتقريب أصلاً من تكفير المسلمين، واعتقاد أن الصواب والرشد في مخالفتهم..

ولهذا لم تثمر دعوة التقريب ســـوى خسارة كبيرة لأهل السنة، ونصر لأهل الرفض. فلم تكن دعوة التقريب إلا ســـتارًا لنشـــر الرفض بين أهل السنّة بلا شك، ومن اعترض على هذا فليقدم معلوماته الموثقة، لا أفكاره المسبقة.. وأنَّى له ذلك.[2]

(١) عبد الرحمن المحمود، موقف ابن تيمية من الأشـــاعرة، مكتبة الرشد، الرياض،١٩٩٥م، ج١، ص ١١٧ رسالة دكتوراه.

(٢) الدكتور ناصر القفاري، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ج٢، ص ٢٧٨، ٢٧٩.

ثانياً: مكاسب دعاة التقريب الشيعة دينيًّا وسياسيًّا من هذه الدعوة:

مما لا شك فيه أن دعوة التقريب قد ألحقت خسائر كبيرة بأهل السنّة، وسببت لهم ضررًا كبيـــرًا لا يتصوره إلا من وقف على عدد القبائل التـــي ترفَّضت بجملتها، فضلاً عن الأفراد التي تشـــيعت، حتى تحولت العراق -كمثال- بســـبب هذه الدعوة من أكثرية سنّية إلى أكثرية شيعية. وقادة الروافض يخططون لنشر الرفض بكل وسيلة تحت شعار التقريب.

وبعد العراق بدأوا في مصر وغيرها من بلاد العالم الإســـلامي، واشـــتروا الأقلام، وأغروا ضعاف النفـــوس والإيمان، وخدعوا أصحاب الغفلة والجهل، وجعلوا منهم أبواق دعاية للرفض والروافض، وبســـبب دعوة التقريب سكت أهل السنة -أو جلّهم- عن بيان باطل الروافض، وإيضاح الحق، وباســـم هذه الدعوة وجدت كتب الرافضة ونشـــراتهم ورســـائلهم مكانًا لها في بلاد الســـنّة، وأصبح رجال الرفض يتحركون وسط بلاد السنّة بيسر وسهولة، وينشرون كتبهم، ويقيمون ندواتهم، ويفتحون مراكز لهم.

وفي هذا الســـياق تحدث الدكتور علي إمام عبيد عن خدعة التقريب ونجاح الشيعة في تمريرها على بعض علماء الســـنة، فقال: «وبدأ هذا الغزو باستدراج قطاع من علماء الأمة ومفكريها نحو فكرة التقريب بين الســـنة والشـــيعة، ومحاولـــة تجاوز صراعات الماضـــي، حرصًا على وحدة الأمـــة -كما يزعمون- حتى تقف صفًّـــا واحدًا في وجه أعدائها المتمثلين في الاستعمار الغربي، والاستيطان اليهودي، ونجح الشيعة أيما نجاح في تمرير هذه الخدعة، وغرســـها في بعض علمائنا ومفكرينا الذين قُدِّر لهم أن يتولوا الدعوة إلى الإصلاح والنهضة في الأمة منذ أواخر القرن التاسع عشر.

ثـــم انتقلت العدوى من هـــذه الصفوة إلى جماعات لها وجود كبير وســـط جماهير الناس، فتبنت بدورها فكرة التقريب، وجنَّدت نفســـها للدعوة إليها، وكأنها جزء أساسي من دعوتها إلى الإســـلام ذاته، وأخيرًا وفي السنوات الأخيرة بدأت فكرة التقريب تنتقل مباشرة إلى جماهير الناس عبر الصحف والفضائيات والإنترنت.

وســـاعد الشيعة على هذا التوسع والنجاح: حالة الاضطرابات السياسية المتواصلة، والحروب التي شـــهدتها المنطقة منذ قرنين، مع مجيء الاستعمار الغربي وحتى اليوم، فهذه الحروب والاضطرابات السياســـية نتج عنها بالضرورة اضطرابات فكرية ونفسية

في عقول ووجدان جميع فئات الأمة بلا استثناء: بداية من الصفوة المثقفة، وانتهاء بالعامة والبسطاء. فمن الحقائق المقررة أنه في حالة الاضطرابات وعدم الاستقرار، يصبح الناس أكثر استعدادًا لتغيير الأفكار والمعتقدات».[1]

وكان الواجب على المحاورين أن يدركوا أثر عقيدة الشيعة في أهل السنة، وما يترتب على ذلك دينيًا وسياسيًا باعتبار البعد السيكوسسيولوجي المعمول به في التحليل السياسي؛ ففي جلسة خاصة للخميني مع حسين الموسوي، قال له: «سيد حسين، آن الأوان لتنفيذ وصايا الأئمة -صلوات الله عليهم-، سنسفك دماء النواصب[2]، نقتل أبناءهم، ونستحي نساءهم، ولن نترك أحدًا منهم يفلت من العقاب، وستكون أموالهم خالصة لشيعة آل البيت، وسنمحو مكة والمدينة من وجه الأرض؛ لأن هاتين المدينتين صارتا معقل الوهابيين، ولا بد أن تكون كربلاء أرض الله المباركة المقدسة، قبلة للناس في الصلاة، وسنحقق بذلك حلم الأئمة -عليهم السلام- لقد قامت دولتنا التي جاهدنا سنوات طويلة من أجل إقامتها، وما بقي إلا التنفيذ».[3]

ويُجوِّز الخميني في كتابه تحرير الوسيلة (٣٥٢/١) الاستيلاء على أموال أهل السنة، ولو كانت بطريقة غير شرعية، في حين أنه يمنع ذلك في أموال أهل الذمة.

ويقول حسين الدرازي البحراني: «خذ مال الناصب أينما وقعت عليه، وادفع لنا الخمس».

(١) حقيقة الفكر الشيعي، ص٣.

(٢) تعريف الناصبي: قال نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية ٢٠٦/٢-٢٠٧: وأما الناصبي الذي ورد في الأخبار أنه نجس، وأنه شر من اليهودي والنصراني والمجوسي، وأنه كافر نجس بإجماع علماء الإمامية رضوان الله عليهم، وعند حسين العصفور يقول في كتابه المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية ص١٤٥ وما بعدها: ولا كلام في أن المراد بالناصبة فيه هم أهل التسنن الذين قالوا: إن الأذان رآه أُبَيّ بن كعب في النوم. وينقل حسين العاملي في مستطرفات السرائر من مكاتبات محمد بن علي بن عيسى أبي الحسن الثالث (ع) قال، كتبت إليه أسأله عن الناصب، هل أحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديم الجبت والطاغوت [أبوبكر وعمر] واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب. وعرفه الخميني في تحرير الوسيلة المجلد الأول ص ١١٨ باب في بيان النجاسات، وأما النواصب والخوارج لعنهم الله تعالى فهم نجسان من غير توقف ذلك على جحودهما الراجع إلى إنكار الرسالة. للمزيد انظر مال الله، موقف الشيعة من أهل السنة، ط٣، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ١٤٠٩هـ، ص ١٢-٢٦.

(٣) الموسوي، لله ثم للتاريخ، ص ٨٧.

وفي آخر رواية إســـحاق بن عمار: «لولا أنَّـــا نخاف عليكم أن يُقتل رجل منكم برجل منهم، ورجل منكم خير من ألف رجل منهم؛ لأمرناكم بقتلهم، ولكن ذلك إلى الإمام عليه السلام».[1]

وأوضاع العراق وأفغانســـتان وغيرهما من الدول الإسلامية شاهدة على ذلك، ومن قبل ذلك كانت خيانة نصير الدين الطوســـي[2] للســـنة في بغـــداد، وجريمة يحيى خان الشـــيعي وإخراج بنجلاديش من حوزة باكستان، وتحالف حسن نصر مع المارونيين في لبنان. كلها تأتي في إطار الســـلوك السياسي الذي يعتمد في معاملته للسنة على أساس العقيدة الشيعية كمحدد لها ومنطلق منها.

ولهذا لا يتم إيمان الشـــيعي إلا إذا خالف أهل الســـنة، ومن لم يكن كذلك فهو آثم، ودينه ليس كاملاً؛ قال الخميني في رواية: شـــيعتنا المســـلّمون لأمرنا، الآخذون بقولنا، المخالفـــون لأعدائنا، فمن لم يكن كذلك فليس منّا. وقال في رواية أخرى: ما أنتم على شـــيء مما هم عليه، ولا هم على شيء، إنما هو إقبال على باطل، سواء كان ذلك عبادة أو غير ذلك.[3]

هذا البعد السيكوسســـيولوجي – علم النفس الاجتماعي- وأثره السياســـي والديني للأســـف غائب عمن خـــاض تجربة التقريب، ولم يدركوه إلا متأخـــرًا؛ فكان الأولى قبل الدخول في التجربة بحث الأساس الذي نبني عليه هذه التجربة، فقد بوَّب الإمام البخاري -رحمه الله- بابًا في صحيحه، ســـماه بـــاب العلم قبل القول والعمل، فلا يمكن أن نعزل الســـلوك السياسي للشيعة عن عقيدتهم، ولا عن تركيبتهم النفسية والثقافية، فمن فروع علم السياسة ما يُعرف بعلم النفس السياسي، وهو متعلق بدراسة المجتمعات والقادة، وما هي العوامل التي تؤثر فيهم نفسيًا، وتدفعهم إلى اتخاذ قرارات معينة.. إلخ.

ويمكن لنا قراءة أثر عقيدة الشـــيعة في أخلاقيات الصراع مع السنة، من استباحتهم لكل المحرمات من مال وعرض ودم، بأبشع ما تكون الصور، مما لا تعرفه أخلاقيات أية طائفة أو ملة إلاَّ ملل الكفر -عياذًا بالله تعالى-، ولعل من المناسب هنا ذكر كلام بعض

(١) مال الله، موقف الشيعة من أهل السنة ، ص ٤٢، ٤٣.

(٢) يقول الخميني في كتابه الحكومة الإســـلامية ص١٢٨: «ويشعر الناس بخسارة أيضًا بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي، وأضرابه ممن قدموا خدمات جليلة للإسلام».

(٣) مال الله، موقف الشيعة من أهل السنة، ص ١٠٧.

المستشرقين المتخصصين في التاريخ الإيراني، والتي تتفق مع وجهة النظر الصحيحة في تحليل البعد السيكوسسيولوجي وأثره في السلوك السياسي المبني على عقيدة الشيعة تجاه السنة عمومًا والعرب منهم بصفة خاصة.

يقول الدكتور براون: «ولما فتحت إيران على يد الفاروق الأعظم، ومزق جموعها، وكسر شوكتها، وهدم مملكتها؛ نقم أهل إيران على الفاروق، ورفقته، وجنوده، لما جُبِلُوا على الملوكية، وأُشربوا حبّها، فوجد اليهود الفرس مزرعة خصبة لغرس بذور الفتنة فيها، وكان من الاتفاقات أن ابنة يزدجرد ملك إيران شهربانو قد زُوِّجت من حسين بن علي رضي الله عنهما، بعد ما جاءت مع الأسارى الإيرانيين.

فلما دبر اليهود لأمير المؤمنين وخليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتترسوا بعلي رضي الله عنه بدون إذن منه ومعرفة، وادعوا الولاية والخلافة لعلي وأولاده، وعاونهم أهل إيران نقمة على الفاروق، ورفقته، وأصحاب الرسول الذين فتحوا إيران، وعثمان الذي وسَّع نطاق الفتوحات الإسلامية، وأقام اعوجاجهم، ونفى بُغاتهم، فأبدى أهل إيران الاستعداد لمعاونة تلك الطائفة اليهودية، والفئة الباغية، وخاصة بعد ما رأوا أن الدم الذي يجري في عروق علي بن الحسين الملقب بزين العابدين وفي أولاده دم إيراني من قبل أمه شهربانو ابنة يزدجرد ملك إيران من سلالة الساسانيين المقدسين عندهم.[1]

فلأجل هذا دخل أكثر أهل فارس في الشيعية؛ لما يجدون فيها من التسلية بسبّ الصحابة، وخاصة عمر، وعثمان، فاتحي إيران، ومطفئ نار المجوسية فيها، ومن هناك اتفقوا مع اليهودية الماكرة، ولأجل هذا اتحدوا معهم، وسلكوا مسلكهم، ونهجوا منهجهم، فها هو المستشرق الإنكليزي الذي سكن إيران مدة طويلة، ودرس تاريخها دراسة وافية ضافية، يقول صراحة: «من أهم أسباب عداوة أهل إيران للخليفة الراشد الثاني عمر، هو أنه فتح العجم، وكسر شوكتهم، غير أنهم (أي أهل إيران) أعطوا لعدائهم صبغة دينية، مذهبية، وليس هذا من الحقيقة بشيء».[2]

ويضيف دوزي محللاً نفسية الشيعة: «كانت الشيعة في حقيقتها فرقة فارسية، وفيها

(١) الدكتور براون، تاريخ أدبيات إيران، ط الهند، ج١ ص٢١٧.

(٢) إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة ، ص ٣٩، ٤٠.

يظهـــر أجلى ما يظهر ذلك الفارق بين الجنـــس العربي الذي يحب الحرية وبين الجنس الفارسي الذي اعتاد الخضوع كالعبيد.

لقـــد كان مبدأ انتخـــاب خليفة للنبي -صلى الله عليه وســـلم- أمرًا غير معهود ولا مفهـــوم؛ لأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة في الحكم، لهذا اعتقدوا أنه مادام محمد لم يتـــرك ولدًا يرثه، فإن عليًّا هو الذي يجب أن يخلفه، وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية في آل عليّ.

وعلـــى هذا، فإن جميع الخلفاء – ما عـــدا عليًّا- كانوا في نظرهم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعة. وقوَّى هذا الاعتقاد عندهم: كراهيتهم للحكومة وللســـيطرة العربية، فكانوا في الوقت نفســـه يلقون بأنظارهم النهمة إلى ثروات سادتهم. وقد اعتادوا أيضًا أن يروا في ملوكهم أحفادًا منحدرين من أصلاب آلهة الدنيا، فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى عليّ وذريته. فالطاعة المطلقة للإمام -الذي لا بد أن يكون من نسل عليّ- كانت في نظرهم الواجب الأعلى، حتى إذا ما أدى المرء هذا الواجب، استطاع بعد ذلك بغير لائمةٍ ضميرٍ أن يفسِّر سائر الواجبات والتكاليف تفسيرًا رمزيًّا، وأن يتجاوزها ويتعداها.

لقـــد كان الإمام عندهم هو كل شـــيء، إنه الله قد صار بشـــرًا، فالخضوع الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات. كل ما سبق هو الأساس في مذهبهم.

وبمثل ذلك، قال المستشـــرق ملر، وزاد عليـــه: «أن الفرس كانوا تحت تأثير الأفكار الهندية قبل الإسلام بعهد طويل يميلون إلى القول بأن الشاهنشاه هو تجسيد لروح الله التي تنتقل في أصلاب الملوك إلى الأبناء».[1]

وقد قـــام مجموعة من العلماء بدراســـة جملة من الخصائص النفســـية التي تميز الشخصية الإيرانية -اتفق الدكتور طه حامد الدليمي مع نتائج تلك الدراسة- واستنتجوا من خلال هذه الدراسة أن أهم خصائص الشخصية الإيرانية **هي**:

١- الغدر:

ليس لدى الإيراني القدرة على الامتزاج؛ بســـبب شكوكه وعدم ثقته بالآخرين؛ ولذا فإنه يبحث عن الأمان في الانعزالية عن الناس، أو بواسطة توجيه ضربته الأولى.

(١) المرجع السابق، ص ٢٧٨، ٢٧٩.

٢- الشك والارتياب وسوء الظن:

فالشعور بعدم الأمان مغروس غرسًا عميقًا عند الإيرانيين. إن هذا الشعور بالارتياب يجعل الإيراني يعتقد بأنه ليس هناك شـــيء بنفس البساطة والاستفادة التي ربما يظهر عليها، وأنه لا يمكن قبول الأمور على أساس قيمتها السطحية أو الظاهرية.

٣- الوقاحة:

في قطعة أدبية مشـــهورة في الأدب الفارسي ينصح أحد الحكام الإيرانيين، من ذوي العقل الراجح، ابنه حول الكيفية التي يتوجب على الابن اتباعها من أجل أن يكسب حياته في إيران قائلاً:

«-.. لا تتخوف من سوء استعمالك للحق أو السلطة، ولا من الإذلال أو تشويه السمعة والافتراء.

- وعندما يجري طردك خارج أحد الأبواب تعال وادخل بابتسامة من باب آخر..

- كن وقحًا ومتغطرسًا وغبيًا؛ لأنه من الضروري في بعض الأحيان التظاهر بالغباوة؛ لأن في ذلك فائدة.

- حاول أن تقيم علاقات مع أولئك الذين يتبوأون مناصب عالية.

- اتفـــق في الرأي مع أي شـــخص بغض النظر عن ماهية رأيـــه، وذلك من أجل أن تجتذب تأييد عطفه الأكبر».

٤- الشعور بالتفوق أو الاستثنائية الفذة التي لا مثيل لها:

وهذا الشعور يصبح مثل درع يحتمي الشيعي وراءه، ويخفي نفسه به أثناء فترة التطور الثقافي الســـريع. وهذا يجعل الهوية الإيرانية قادرة علـــى البقاء، بالرغم من تعرضها لموجات مختلفة من الغزوات، وقادرة على امتصاص مؤثرات ثقافية كانت تواجهها بدون أن تغوص الهوية الإيرانية الذاتية إلى القعر.

وعلى خلاف الشعوب الأخرى لم يمتزج الفرس بوشائج الصلة الوثيقة مع العرب حملة الراية الإسلامية، بل حافظ الفرس على شخصيتهم الذاتية حتى في ظل الإسلام.

ففي مقابل المذهب الســـني الشـــائع بين العرب اخترع الفرس المذهب الشـــيعي.

وعندما كان جمهور المسلمين يخضعون لسلطان الخليفة؛ فإن الإيرانيين اتخذوا من المذهب الشيعي ذريعة لمناهضة شرعية الخلافة، باعتبار عدم جواز الإمامة إلا حصرًا بسلالة عليّ، واستعان الفرس بالتكتل الشيعي لتحقيق مآربهم.

ورغم أن الفرس مسلمون، إلا أنهم يختلفون عن المسلمين الآخرين، ومن هذا المنطلق استطاعوا البقاء، وحصنوا أنفسهم ضد الانصهار.

٥- الكذب:

إن المعنيين بدراسة إيران وشئونها متفقون عمومًا على الاستنتاج القائل بأن الارتياب وعدم الاطمئنان والتخفي الديني تحت مظهر كاذب هي أهم مميزات الإيرانيين. حتى إن محمد رضا بهلوي قد ذكر هذه المميزات بصورة فظة، وذلك بقوله: «إن الفرس يكذبون».

وقد اشتكى الشاه السابق أيضًا من أن الكذب ذاته يجري تمجيده على أساس أنه فضيلة، واقتبس في شكواه ما جاء في كتاب الشاعر الفارسي سعدي: «إن الكلمات التي تخدعك وتضللك، ولكنها تسعد قلبك هي أغلى من الصدق. وتزيد في قيمتها عن الشيء الذي يجعلك حزينًا ويعكِّر مزاجك».

إن المثل القائل: «احجب عن العيون ذهابك وذهبك ومذهبك» هو واحد من عدد كبير من تحذيرات شرعية مماثلة موجودة في الجعبة التجارية الفارسية.

٦- الملق والتلون والمداهنة:

إن المَلَق والمداهنة والغش يجب أن تكون هي الأدوات التي يحتاجها الفرد الشيعي من أجل أن يتقدم ويصعد إلى أعلى. لقد قال زعيم إيراني: «إن الإيرانيين مثل الحرباء؛ إنهم يغيِّرون ألوانهم كل يوم، وتتلون سياساتهم بما يتناسب مع ألوانهم المتغيرة. إن استعمال تعبيرات مثل: «إنني عبدك المطيع»، أو «إنني التراب الذي تطؤه قدماك»، أو «دعني أقبِّل رجليك ألف مرة»، هي جزء صغير من مفردات قياسية للغة المحادثات اليومية».

٧- المراوغة والخداع:

يرى الأجنبي في الفارسي مسلمًا يمارس شعائر الدين، غير أنه لا يمكن له أن يجزم

بأنه من المؤمنين. وقد تعلم الناس أن لا يظهروا معتقداتهم بصورة علنية.

وكانـــوا عند الضـــرورة لا يترددون فـــي التظاهر بإنكارها، ويلجـــأون إلى التحايل والمراوغات لخداع خصومهم. ولا يزال يوجد حتى الآن فئات يمكن اعتبارها مسلمة من الناحية الرسمية، غير أن أفراد عائلاتها يمارسون الطقوس الزرادشتية المتوارثة.

٨- الازدواجية:

الثنائية عند الفارســـي هي صفته المميزة؛ ففي أعماق نفسه حماس منقطع النظير، ومشاعر أشبه ما تكون بالأعراض المرضية، أما في الظاهر فهو متحلل من كل ارتباطاته بالقيـــم، والأعراف والتقاليد، متصوف في قرارة نفســـه، مخاتـــل وماكر في تصرفاته الظاهرية.

٩- الطبيعة الإيحائية:

يتأثر الفارســـي كثيرًا بالأســـاليب الإيحائية كالصور والتمثيل، ويندمج فيها تمامًا؛ بحيـــث يبدو وكأنه يعيش ذاتيًا الحالـــة المعروضة أمامه. ومن ذلك ما حدث بالفعل في ليلة صافية الأديـــم، وفي قرية صغيرة تقع جوار «رضائية» عرضت إحدى الســـينمات المتجولة فيلمًا غربيًا على شاشـــة نصبت في الهواء الطلق. وعندما اختطف أحد أفراد العصابة بطلة الفيلم بوحشـــية وأردفها على جواده سارع الحاضرون إلى امتطاء خيولهم واندفعوا لمطاردة الخاطف!

١٠- الغطرسة واحتقار الغير:

إن الفارسي إنســـان متغطرس، وأكثر ميلاً من غيره لاحتقار الغريب فيما إذا اعتقد بأنه يحاول إخضاعه وإذلاله، أو أنه يتحاشاه عند الاقتضاء.

والفارســـي بطبيعته المتغطرســـة لا يتردد في إظهار إعجابه بنفسه. وعندما يشعر الفارسي بالسعادة يتظاهر دائمًا بالمرارة والألم![1]

فـــإذا كانت هذه هي التركيبـــة الاجتماعية والدينية والنفســـية لهؤلاء، فكيف يمكن

(١) طه حامد الدليمي، التشيع عقيدة دينية ؟ أم عقدة نفسية، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٣٦-٣٨.

القبـــول بفكرة التقريب؟! لا يقول بهـــذا إلا من جهل هذه الشـــخصية المعقدة، وقلت بضاعته من العلم الشرعي بحقيقة المذهب الشيعي من مصادره الأصلية، ومن لا دراية له بتاريخ الشيعة قديمًا وحديثًا، ومساعدتهم لكل من استهدف الأمة بشَرٍّ، والواقع -في العراق وأفغانستان واليمن ولبنان- خير شاهد على ذلك.

ثـــم إننا نطلب من هؤلاء ســـابقة تاريخية ناجحة نبني عليهـــا موقفنا، ونقول: نعم للتقريـــب، وحتى تجدوا ولـــن تجدوا، فالدعوة باطلة بالأســـاس الشـــرعي والتاريخي والسياسي والواقعي.

الخلاصة:

نستنتج من كل الكلام الســـابق، ومما نقلناه عن الشيخ محمد رشيد رضا، والدكتور الدليمي والمستشرقين وغيرهم، أن التقريب مستحيل وفقًا للمقدمات السابقة.

إن التقريب غطاء جميل لهدف ســـيئ، ولهذا يمتنع الروافض إذا ما دُعوا إلى الحوار والتقريب من قبل المتخصصين، وهذا ما ذكره ســـماحة الشـــيخ عبدالله بن حميد، أن الرافضة في عهد الملك فيصل أرسلوا لعلماء السعودية يطلبون فيها عقد جلسة للحوار معهم؛ فإن تبين -كما يقولون- أن الحق مع السنّة اتبعه الجميع، وإن كان مع الشيعة اتبعه الجميع، وبهذا يُرفع الخلاف ويكون التقارب والتآلف.

فكان من إجابة علماء الســـعودية أنه لا مانـــع لدينا من ذلك، ولكن لا بد من الاتفاق على أصل يُرجع إليه عند الخلاف وهو كتاب الله، وصحيح الســـنة وعلى رأسها صحيح البخاري، وأرسلوا بذلك إليهم وانتظروا منهم الجواب، ولم يصل لهم جواب.[1]

ولهذا يجعل آياتهم وشـــيوخهم مثل الخالصي ومرتضى الرضوي وغيرهما من شرط التقارب أن يوافق أهل الســـنّة على سبّ صحابة رســـول الله صلى الله عليه وسلم، أي يوافق أهل السنّة على القدح في الصحابة، وبالتالي يرجعون لمدونات الروافض.[2]

فالذين رفضوا التقريب رأوا فيه: «أنه البدعة الكبرى التي أرادت الشيعة من خلالها أن تعطي الكفر والضلال والإلحاد صفة الشرعية، واسم الإسلام».[3]

(١) الدكتور ناصر القفاري، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ج٢، ص ٢٦٧، ٢٦٨

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص ١٤٠.

(٣) المرجع السابق، ج٢، ص ٢٧٨.

الفصل الرابع
كيف يمكن تحجيم المد الشيعي؟

مضى معنا الكلام مطولاً عن المد الشيعي، وأهدافه، وطرقه وأساليبه، وكيف اتخذه الشيعة ستارًا ينشرون من خلاله فكرهم ومذهبهم، ويغرسوا كثيرًا من البدع والخرافات في جسد الأمة، من خلال دعوة التقريب، ونشر الكتب، والتجمعات الشيعية، وأحيانًا كثيرة عبر السلاح والعمل العسكري، كما نرى ذلك بوضوح في إيران ذاتها من منع أهل السنة من حقوقهم، وقتلهم واستحلالهم في العراق، وزرعهم الفتن في لبنان واليمن، وغيرها من بلاد المسلمين شرقًا وغربًا، ولكن السؤال المهم الآن هو كيف يمكن للأمة أن تحجم المد الشيعي؟

يمكن للأمة أن تقف أمام المد الشيعي وتحجمه عبر العمل من خلال عدة محاور .. منها:

أولاً: المحور الإعلامي والدعوي:

وذلك باستخدام وسائل الإعلام، بكافة أنواعها: المرئية والمسموعة والمقروءة في التصدي لهذا الفكر، ودحض افتراءات الشيعة، ونشر السنة والعقيدة الصحيحة من خلال ما يلي:

الوسائل:

١- طباعة الكتب والرسائل التي تتناول كل جزئية من عقيدة الشيعة، ونقدها مقارنة بعقيدة أهل السنة.

٢- إعلان باطلهم وضلالهم بالتفصيل لعامة الأمة حتى لا يغتروا بهم، ومناقشة أقوالهم في قضايا كثيرة مثل: (تحريف القرآن، تكفير الصحابة، الطعن بأمهات المؤمنين، شركهم بالقبور، ودعاء أهل البيت، وتقديسهم، رد الأحاديث النبوية، العصمة، الإمامة، التقية، المتعة، التقليد، ومساجد ضرارهم (الحسينيات)، والأذان البدعي، أوقات

الصلـــوات، الوضوء، النياحة واللطميات، التطبير.. التبعيـــة لإيران وتنفيذ مخططاتها، العمالـــة للأجنبي، فضح كتب مروياتهم، فضح مخـــازي علمائهم، إباحتهم دم المخالف وماله وعرضه، وخاصة أهل السنة.. إلخ).

٣- عـــرض مخازيهم التاريخية على مر العهود والعصـــور، وفضح تزويرهم للتاريخ. لقد آن لنا أن ننهي المعادلة التاريخية الظالمة: أهل الســـنة يصنعون الأحداث، والشيعة يكتبون تاريخها. (مثال ذلك أبو مخنف الشعوبي واعتماد الطبري عليه في تسجيل أحرج فترة مرت بها الأمة في صدر دولة الإسلام، وتاريخ الدولة الأموية).

٤- تجريدهم من حق الانتســـاب إلى أهل البيت العلوي أو النبوي. وتوضيح أن هذه مجرد دعوى وســـتار كاذب. وإيقاف جميع المحاولات السنية الرامية إلى التقرب إليهم، -من بـــاب محاولة إثبات حب آل البيت- والتي ثبت فشـــلها رغـــم تكرارها منذ مئات السنين!

٥- اتباع أســـلوب الهجوم المنظـــم، والخطاب القوي، المبني على الشـــعور بالعزة الإيمانية، وأننا أهل الحق، وهم أهل الباطل. والبعد عن اتباع مبدأ الدفاع، والأســـاليب التقريبية الترضوية الضعيفة.[١]

ب- الفاعليات:

١- استضافة المتخصصين والباحثين لعرض عقيدة الشيعة من مصادرهم الأصلية في القرآن والسنة، والصحابة وعصمة الأئمة، والغيبة والتقية، والرجعة وعقيدة البداء، وكافة مكونات عقيدتهم، ويكون ذلك في شـــكل حوار جماعي مع الشـــباب داخل المدن والقرى في ســـردقات مفتوحة، ويكون قد حُضِّر لهذه اللقاءات جيدًا من دعاية وإعداد فني، وينقل الإعلام ذلك، ويغطي هذه الفعاليات.

٢- عقـــد ندوات في الجامعات والمدارس الإعدادية والثانوية تعرض أفلامًا وثائقية لما يفعله الشيعة عند القبور وفي الحسينيات وغيرها.. .[٢]

وهذا يناسب أغلب بلدان الجزيرة العربية التي هي الهدف الأساس للتشيع والتدمير من قِبَلهم.

٣- دعوة علماء الشـــيعة إلى مناظرات علنية من قِبَل السنة لمن يشاء منهم، على أن

(١) طه حامد الدليمي، التشيع عقيدة دينية أم عقدة نفسية؟، ط١، ٢٠٠٧م،٣١١،٣١٠.

(٢) وقد قامت قناة صفا مؤخرًا بفعل أشياء قريبة من هذا، وكان لها أثر طيب في رجوع بعض الشيعة.

تُسجل وتُذاع على الهواء مباشرة في حوار مفتوح ومباشر، بعيدًا عن الضغط الأمني؛ لأن قضايا العقيدة والفكر تكـــون مواجهتها في المقام الأول بالحوار، إلا إذا وقعت مخالفة قانونية وجرائم.

ثانيًا: الوسيلة السياسية:

١- يجب أن يكون لدينا مشروع سياسي متكامل حتى نستطيع مواجهة المشروع الإيراني بـــكل مكوناته وفعالياته، وكذلك مواجهة المشـــاريع الأخرى لدى القوى الصهيوصليبية، سواء كان مشروع الشرق الأوسط الموسع، أو الكبير أو مشروع المتوسطية.

فهذا يســـد حالة الفراغ الموجودة الآن، وحتى تتفاعل الجماهير مع المشروع النافع الذي يحقق مصلحتها، ويلبي لها طموحاتها، ويحافظ على قيمها ودينها، على أن يتســـم هذا المشروع بالواقعية والطموح في آنٍ واحد.

٢- قيام الدبلوماسية الإسلامية في الخارج بدورها في نشر الكتب، والإصدارات الإعلامية وسط الجاليات المسلمة؛ للتحذير من عقيدة الشيعة الروافض، وبيان خطورتها.

٣- منع طباعة ونشر كتب الروافض في بلادنا.

٤- توجيه فضائيات وإذاعات للشعب الإيراني داخل إيران باللغة الفارسية، وباللغات العربية والإنجليزية وغيرها لباقي دول العالم.

٥- كشـــف التعاون بينها وبين القوى الصهيوصليبية ضد الأمة الإسلامية، مع تغطية انتهاكات حقوق السنة في الداخل الإيراني.

٦- مطالبة إيران بحقوق السنة لديها.

٧- عقد مؤتمرات دولية في العالم الإسلامي لبيان خطورة المذهب الشيعي على المستويين: الشرعي، والسياسي. على أن يتصدره من لديه القدرة على بيان خطورة مذهب الروافض.

٨- أن تستمر هذه الحملة الإعلامية وفعاليتها ما لا يقل عن سنة، ثم يجرى استطلاع للرأي واستبيان لمعرفة النتائج.

٩- مناقشة الفكر الشـــيعي المنحرف والرد عليه، والدعوة لعمل أبحاث متخصصة في كل ما يخص العقيدة الشـــيعية، وتاريخها، وتقديم الدعم المالي والمعنوي للباحثين في هذه الموضوعات، مع نشـــرها، وترجمة الأفضل منها للغات الأجنبية، وخاصة اللغة الفارسية، ونشرها في المعارض الدولية للكتاب.

ثالثًا: إعداد الكوادر والاهتمام بها في الجانب الشرعي والإعلامي والسياسي والفني بما يخدم هذه القضية.

وأخيـرًا: محاولة اســـتيعاب الشـــيعة العرب الذين يرفضون فكرة ولاية الفقيه التي يرون أنها تمثل البعد القومي الفارســـي الاستعلائي، وأنهم صاروا مجرد خدم للمنظومة الإيرانيـــة، إضافة لتصادم المصالح بين مدرســـتي النجف وقم، فنقل الثقل لمدرســـة قـــم بدلاً من النجف رآه الشـــيعة العرب يكرِّث الهيمنة الايرانية على التشـــيع العالمي فقهيًّا ومذهبيًّا وسياســـيًّا واقتصاديًّا (ومنها الخُمُس)، ولكن يجب على الشـــيعة العرب ومرجعياتهـــم المعارضة أن يعلنوا رفضهم للمشـــروع الإيراني بصراحة ووضوح، وعدم تقديمهم أي دعم لمشروع القوى الصهيوصليبية بأي صورة من صور الدعم.

الخاتمة

لقد قَبِل بعض علماء المسلمين الدعوة التي نادى بها مرجعيات الشيعة للتقريب بين السنة والشيعة من منطلق عاطفي وحسن ظن بالشيعة، ودون اطلاع على مصادرهم، وما فيها من مخالفة لأصول الإسلام الصحيح.

وكان حب أهل السنة للوحدة والاتحاد هو الذي دفعهم لقبول الحوار والتقريب، ولكن أهل السنة بعد التجارب الفردية والجماعية الطويلة خاب ظنهم، وظهرت لهم حقيقة الشيعة؛ حتى قال أكثر الناس حماسةً لها، وهو الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله رحمة واسعة-: «.. وإنني أقسم بالله وآياته لَشديد الحرص على هذا الاتفاق، وقد جاهدت في سبيله أكثر من ثلث قرن، ولا أعرف أحدًا في المسلمين أعتقد أو أظن أنه أشد مني رغبةً وحرصًا على ذلك، وقد ظهر لي باختباري الطويل، وبما اطَّلعت عليه من اختبار العقلاء، وأهل الرأي أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق أشد الإباء؛ إذ يعتقدون أنه ينافي منافعهم الشخصية من مال وجاه..

وقد تكلمت مع كثيرين من الفريقين في مصر وسورية والهند والعراق، ومما علمته بالخُبر والخَبر أن الشيعة أشد تعصبًا وشقاقًا لأهل السنة.. وقد نشطوا في هذا العهد لتأليف الكتب والرسائل في الطعن على السنة، والخلفاء الراشدين الذين فتحوا الأمصار، ونشروا الإسلام في الأقطار، والطعن على حُفاظ السنة وأئمتها وفي الأمة العربية بجملتها..

ثم قال -رحمه الله- «.. إننا لا نعرف أحدًا من علماء أهل السنة المتقدمين ولا المعاصرين يطعن في أحد من أئمة آل البيت عليهم السلام، كما يطعن هؤلاء الروافض في الصحابة الكرام، ولاسيما أبي بكر وعمر، وفي أئمة حُفاظ السنة كالبخاري والذهبي وابن حجر وغيرهم، فإنهم يعدونهم من النواصب؛ لعدم موافقتهم لجهلة الروافض على ما يفترونه من الغلو في مناقب آل البيت، وقد أغناهم الله عن اختلاق المناقب لهم؛ لكثرة مناقبهم الصحيحة الثابتة بالنقل الصحيح. أما النواصب فهم أولئك الخوارج الذين يتبرءون من عليّ رضي الله عنه...».

ثم وصف الشـــيعة بقوله: «إنهم كانوا أشد النقم والدواهي التي أُصيب بها الإسلام، فهم مبتدعو أكثر البدع الفاسدة التي شوَّهت نقاءه، وهم الذين صدعوا وحدته، وأضعفوا شوكته، وشوَّهوا جماله، وانتقصوا كماله، وجعلوا توحيده وثنية، وأُخوته عداوة وبغضاء، وبثّوا فيهم فتنة عبادة أناس لأجل أنســـابهم، وتقديس أناس لأحســـابهم، وجعل سعادة الدنيا والدين بوســـاطتهم عند الله، وتأثيرهم في علمه وإرادته على ضد عقيدة القرآن من كون الخالق تبارك وتعالى لا يطرأ على صفاته تأثير من المخلوق، وجميع الفِرَق التي ارتدت عن الإسلام من القرون السابقة كانت من غلاة الشيعة».

ثم بيَّن الشيخ محمد رشيد رضا سبب عداوة الشيعة للعرب وللأترك بقوله: «ووُجِّهت العداوة الشيعية إلى أهل السنة خاصة، وزال ملك العرب من بلاد الفرس، وصار السلطان فيه للترك، فاتصل ما كان من عداوتهم للعرب إلى الترك، على اختلاف طوائفهم..

وصارت السُّـــنّة في بلاد إيران أضعف من المجوسية، وقد ثبت شيعة إيران مذهبهم في عرب العراق، حتى كاد يكون أكثر البدو منهم يقيمون مآتم الإمام حسين، ويلعنون أبا بكر وعمر عليهما أفضل الرضوان.. فالشيعة كلهم دعاة إلى مذهبهم حتى النساء».[1]

هذا وقد وافق الشـــيخ ســـعيد حوى على ما ذهب إليه الشـــيخ محمد رشـــيد رضا -رحمهما الله تعالى-، فقال:

«وجاءت الخمينية المارقة تحذو حذو أســـلافها من حـــركات الغلو والزندقة التي جمعت بين الشعوبية في الرأي والفساد في العقيدة..

وبالرغم من مرور ســـنوات عدة على وفاة الخميني، فإننا مطالبون الآن وأكثر من أيّ وقت مضى بالعودة إلى عقيدته وفكره ومواقفه، فما أشبه الليلة بالبارحة! وها هي إيران اليوم تســـير على نفس النهج الذي رســـمه لها الخميني بالأمس، وتنشر التشيع الباطل وتعادي المســـلمين من أهل الســـنة، وتوالي الكافرين، وتُعينهم على المسلمين، وتعادي العرب، وتُعلي من شأن الفرس والقومية الفارسية».

ويضيف الشيخ سعيد حوى -رحمه الله-: «كان الناس يتصورون أن انتصار الخميني

(١) محمد رشـــيد رضا، موســـوعة مجلة المنار الإلكترونية، إصدار ماس للطباعة والنشر، القاهرة ، (مجلد ٢٧، ص ١)، وانظر: الرد الكافي على مغالطات الدكتور وافي، دار الإمام المجدد لأبي عبد الرحمن، القاهرة، ١٤٢٦هـ، ص ٢٥، ٢٦.

في إيران سـيجعل الشـيعة يتجاوزون التقية، لكن ثبت من خلال الواقع أنهم يستعملون التقية مع البندقية، ويتحالفون مع إسـرائيل، ويتظاهـرون بعكس ذلك، ويحاربون حربًا طائفية في كل مكان، ويتظاهرون بشعارات سوى ذلك، ويلبسون لكل حالة لبوسها».[1]

وإلـى الذين مازالوا يقولون بالتقريب بعد هذا البيان أُهدي لهم هذا المشـهد، فقد نشـرت القناة الرابعة البريطانية في شهر كانون الثاني ٢٠٠٧م في برنامج «ديسباتشر» فيلمًا يحوي كمًّا رهيبًا من الفظائع البشعة التي ارتكبتها الشيعة في العراق، ومن ذلك أن جيش المهدي وميليشيات بدر شووا طفلاً وأعطوه لأمه، وفعلوا ذلك مع شاب في شارع فلسطين شرق بغداد اسمه عمر، وحادثة أبو عمر المشهداني في منطقة الدورة، عندما ألقوه في فرن خبز وحرقوه، وكلها حوادث مشهورة عند أهل بغداد.

ولنقارن هذه الجرائم البشـعة ضد السنة مع فتوى السيستاني بعدم جواز قتل جنود الاحتلال، وإعطاء الشـيعة في لبنان الورود لجيش الاحتلال الصهيوني، وما زال شعار الموت لأمريكا وإسـرائيل يجد من البلهاء من يصدقه؟ بينما لا يموت إلا السُّـنّة أعداء إيران وحلفائها.

رؤية مستقبلية للمشروع الشيعي:

١- لقد فشـل المشروع الشيعي؛ بسبب إخلاله بمبدأ التوازن الدولي وموازين القوى في المنطقة، وما نتج عن ذلك من انعكاسـات على الأوضاع داخل المنطقة العربية، كما تسبب في إلحاق الضرر بالأمن القومي العربي والإسلامي، ولقد تذمرت كثير من البلدان العربية من ذلك المشروع، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية تعود بعض أسباب فشله لصدامه بمصالح القوى الكبرى في المنطقة، وخاصـة الخليج العربي، ولهـذا فالصدام وارد بينهم، وإن أخذ أشـكالاً متعددة؛ فقد يبدأ بالتصعيد الدبلوماسـي، والضغط الاقتصادي، ثم القوة العسكرية، أو تفكيك القوة العسكرية وخاصة النووية، وجعلها تحت إشرف ورقابة دولية.

وسوف تُبقي هذه القوى الدولية لإيران قدرًا من القوة؛ لأسباب متعلقة بوضع المنطقة، لتبقى تحت الابتزاز في مجالات مبيعات الأسلحة والهيمنة السياسية، ومن الوارد حدوث

(١) مجلة الراصد، العدد الثاني، ١٤٢٤ هـ، ص ١١، ١٥.

تنازلات إيرانية في اللحظات الأخيرة، في محاولة منها لتجنب الضربة العسكرية.

٢- عدم عقلانية العقيدة الشيعية، وصدامها مع الفطرة السليمة، وبدء ظهور الحقيقة، بعيدًا عن التزييف الذي اكتسبه التشيع بعد حرب لبنان، مع توارد الأخبار عن جرائم الشيعة في العراق، مما أفقد التشيع البُعد المعنوي الذي حصل عليه في الفترة الماضية من الترويج للثورة الخمينية بأنها لتحرير المسلمين، ومحاربة قوى الاستكبار العالمي أو في حرب لبنان (حزب الله)، فكلها شعارات بدأت تتساقط...

إن الفتن والوقائع السيئة التي تقوم بها الأقليات الشيعية في بلدانها الأصلية ستكون سببًا في إضعافها، وكشف عدم ولائها لدولها؛ مما سيؤثر على انتشارها بل وربما وجودها.

٣- تفكك الداخل الإيراني الشيعي المتنافس على السلطة، وهو ما أظهرته الانتخابات الأخيرة، وربما بسبب القلاقل التي أحدثتها الأقليات المكبوتة داخل إيران، وتشجيع القوى الصهيوصليبية لها؛ بغرض إحداث ضغط على صانع القرار الإيراني لإعادة حساباته، وتقديم تنازلات مطلوبة في ملفات كثيرة، من أهمها الملف النووي، وآخرها الورقة السحرية المسماة بـ«حقوق الإنسان» التي أصبحت أداة من أدوات الضغط في العلاقات الدولية؛ تسوِّغ التدخل في شئون الدول الأخرى، وتساعد على ترتيب أوضاع سياسية، بحسب رغبة تلك القوى.

والله نسأل في الختام أن يرد المسلمين كافة إلى دينهم ردًّا جميلاً، وأن يرزقهم الهداية والبصيرة، وأن يكفّ يد المعتدين، ويقرّ أعين السنة برفعتها ونصرها في كل موطن وحين، ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]، وإن غدًا لناظره قريب.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
/٢٠١٠م